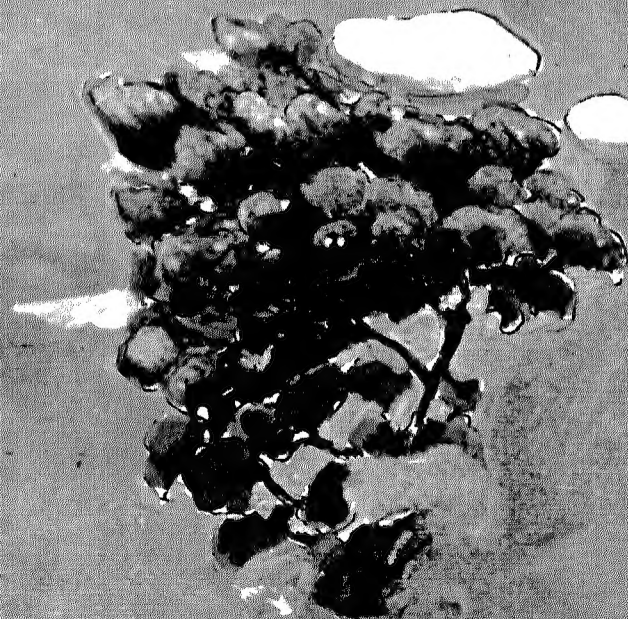


شعر إبراهيم ناجي ، الأعمال الكاملة

وسيلة

الغشام



دار الشروق



الطبعة الثالثة
١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م

جميع حقوق الطبع محفوظة

© دار الشروق

أسسها محمد المعلم عام ١٩٦٨

القاهرة: ٨ شارع سيديويه المصري - رابعة العدوية ص.ب: ٢٣ البانوراما - مدينة نصر
هاتف: ٢٦٢٣٣٩٨ - ٢٦٢٣٥٤٨ - فاكس: ٤٠٣٧٥٦٧ (٠٢)

بيروت: ص.ب: ٨٠٦٤ - هاتف: ٣١٥٨٥٩ - ٨١٧٢١٣
فاكس: ٨١٧٧٦٥ (٠١)

شِعْرُ إِبْرَاهِيمَ نَاجِيٍّ ، الأَعْمَالُ الْكَامِلَةُ

وَرَلَاءَ
الْغَمَامِ

دار الشروق

الإهداء

أنت وحيُّ العبقريَّة وجلالُ الأبدية
أنت لحنُ الخلد والرحمة في أرض شقية
أنت سرُّ تعبث فيه العقول البشرية
إن تكن أشجتك أشعاري وأنا تي الشجيرة
فتقبَّل طاقةً بالدم والدمع ندية
وأرضَ عنها وإذا لم ترضَ فاغفر لي الهدية

يا حبيبي! نضب العمر وقربنا الضحية!
إن يكن قد شقي الماضي فما أهدأ البقية
في خيالاتٍ غوالٍ وأمانٍ ذهبيه

يطلع الصبح عليها مثلما تمضي العشي
أنت صهباء السماوات، وروحٌ قُدسية
بتُ تسقيني فتنسني أوجاعي العصية
فسلاماً كل حينٍ وغراماً وتحية!

المآب

(رفيق من رفاق الصبا رآه الناظم عليلاً
محمولاً بعد غربة طويلة)

لِمَن العيونُ الفاتراتُ ذبولا
وَمَن الخيالُ موسداً محمولا
يا همّ قلبي في صبا أيامه
وسهاد عيني في الليالي الأولى
عيناى كذّبتا وقلبي لم تدع
دقّاته شكاً ولا تأويلا
يا أيها الملك العليل أفقّ تجد
مضناك بين العائدين عليلا
يوم المآب كم انتظرتك باكياً
وبعثت أحلامي إليك رسولا

خاطبت عنك فما تركت مخاطباً
وسألت حتى لم أدع مسؤلاً
وغرقت في الأمل الجميل فلم أدع
متخيلاً عذباً ولا مأمولاً
وبكى من يأسى عليك فلم أذر
عند المحاجر مدمعاً مبدولاً
وأسائل الزمن الخفي لعله
يشفي أواماً أو يبل غليلاً
«يا أيها الزمن الذي أسراره
لا تستطيع لها العقول وصولاً»
«بالله قل أواماً وراءك لحظة
جمعت خليلاً هاجراً وخليلاً؟»
هي لحظة وهي الحياة ومن يعيش
من بعدها يجد الحياة فضولاً
مرّ الظلام وأنت ملء خواطري
ودنا الصباح ولم أزل مشغولاً
وأتى النهار على فتى أمسى بما
حمل النهار من الشؤون ملولاً
وكذا الحياة تملّ إن هي أقفرت
ممن يهوّن عبثها المحمولاً

كدّ على كدّ ولست ببالغ
 إلا ضنى متتابعاً ونحولاً
 صداً الحوادث بدّل الاشرار في
 فكري وكدر خاطري المصقولا
 وتتابع الأنواء في أفق الصبا
 لم يُبق لي صحوّاً أراه جميلاً
 ذهب الصبا الغالي وزالت دوحة
 مدت لنا ظل الوفاء ظليلاً
 أيام يخذلني أمامك منطقي
 فاذا سكّ فكل شيء قبيلاً
 ويشور بي حيي فإن لفظ جرى
 بفمي تعثر بالشفاه خجولاً
 يا مَنْ نزلت بنبعه أرد الهوى
 فأذاقنيه محطماً ووبيلاً
 ما راعني ما ذقته وخشيت أن
 ألقاك بالداء الدفين جهولاً
 فأشدّ ما عانى الفؤاد صباباً
 شبتّ وظل دفينها مجهولاً

ساعة لقاء

يا حبيب الروح يا روح الأمانى
لست تدري عطش الروح إليك
وحينى في أنين غير فانى
للردى أشربه من مقلتيكا

* * *

آه من ساعة بثّ وشجون
ولقاء لم يكن لي في حساب
وحديث لم يدر لي في الظنون
يا طويل الهجر يا مُرّ الغياب

* * *

حلّ يا ساحر صفو وسلام
بعد فتك البين بالقلب الغريب
ودنا رؤض وظلّ وغمام
بعد فتك النار بالعمر الجديد!

* * *

مرّت الساعة كالحلم السعيد
ومشت نشوتها مشي الرحيق
ذهب العمر، وذا عمرٌ جديد
عشته من فمك الحلو الرقيق!

* * *

مرّت الساعة والليل دنا
والهوى الصامت يغدو ويروح
وتلاشت واختفت أجسادنا
واعتنقنا في الدُجى روحاً بروح

* * *

تسمع الشعر وشعري منك لك
وبالهامك أبدعت الروي
أنت يا معجزة الحسن ملك
كل لفظ منك شعرٌ قُدسي

* * *

راجعتنا في جلال وسكوت
وتوالت صور الماضي الحزين
كيف يبلى يا حبيبي أو يموت
ما طبعناه على قلب السنين

* * *

كيف يفنى ما كتبناه بنار
وخططنا بهد ودموع
يشهد الليل عليه والنهار
والشهيد المتواري في الضلوع

* * *

التقت أرواحنا في ساحة
كغريبين استراحا من سفر
وحططنا رحلنا في واحة
زادنا فيها الأماني والذكر

* * *

وتساءلت عن الماضي وهل
حسنت دنيائي في غير ظلالك؟
يا حبيبي! أين أمضي من خجل
وفؤادي أين يمضي من سؤالك!

* * *

شدّ ما يخلجني جهد المُقل
من شباب ضاع أو من نور عين
يتمشى السقم في قلب الأجل
وأراني لك ما وفيك دَيني

* * *

أنا شاديك ولحني لك وحدك
فاقض ما ترضاه في يومي وأمسي
درج الدهر وما أذكر بعدك
غير أيامك يا ثوام نفسي!

* * *

وأنا الطائر! قلبي ما صبا
لسوى غصنك والوكر القديم
ما تبدّلنا ولا حال الصبا
والهوى الطاهر والودّ الكريم!

* * *

لم تزل ذكراه من بالي وبالك
كيف ينسى القلب أحلام صباه؟
قد صحت عيني على فجر جمالك
كيف يُنسى الفجر يا فجر الحياة؟!

العودة

(عاد الشاعر إلى دار أحباب له فوجدها قد
تغيّرت حالها).

هذه الكعبةُ كنّا طائفِها
والمصلّين صباحاً ومساءً
كم سجدنا وعبدنا الحسن فيها
كيف بالله رجعنا غرباء

* * *

دار أحلامي وحبّي لقيتنا
في جمود مثلما تلقى الجديدُ
أنكرتنا وهي كانت إن رأتنا
يضحك النور إلينا من بعيدُ

* * *

رفرف القلب بجني كالذبيح
وأنا أهتف يا قلب اتئد
فيجيبُ الدمعُ والماضي الجريحُ
لِمَ عُذْنَا؟ لَيْتَ أَنَا لَمْ نَعُدْ!

* * *

لِمَ عُذْنَا؟ أَوْ لَمْ نَطْوِ الْغَرَامَ
وَفَرَّغْنَا مِنْ حَنِينٍ وَأَلَمٍ
وَرَضِينَا بِسَكُونٍ وَسَلَامٍ
وانتهينا لفراغٍ كالْعَدَمِ؟!

* * *

أيها الوكر إذا طار الأليفُ
لا يَرَى الآخرَ معنى للسماءِ
ويَرَى الأيامَ صفراً كالخريفِ
نائحات كريح الصحراءِ

* * *

آه مما صنع الدهر بنا
أو هذا الطلل العابس أنت! والخيال المطرق الرأس أنا
شدُّ ما بتنا على الضنك وبِتْ

* * *

أَيْنَ نَادِيكَ وَأَيْنَ السَّمَرُ
أَيْنَ أَهْلُكَ بِسَاطِأٍ وَنَدَامِي
كَلِمَا أَرْسَلْتَ عَيْنِي تَنْظُرُ
وَتُبَّ الدَّمْعِ إِلَى عَيْنِي وَغَامَا

* * *

مَوْطِنَ الْحَسَنِ ثَوِي فِيهِ السَّامُ
وَسَرْتُ أَنْفَاسَهُ فِي جَوْهٍ
وَأَنَاحَ اللَّيْلِ فِيهِ وَجْثَمُ
وَجَرَّتْ أَشْبَاحُهُ فِي بِهِوهِ

* * *

وَالْبَلَى! أَبْصَرْتُهُ رَأَى الْعِيَانُ
وَيَسْدَاهُ تَنْسُجَانُ الْعَنْكَبُوتِ
صَحْتَا! يَا وَيْحَكَ تَبْدُو فِي مَكَانٍ
كُلُّ شَيْءٍ فِيهِ حَيٌّ لَا يَمُوتُ!

* * *

كُلُّ شَيْءٍ مِنْ سُرُورٍ وَحَزَنٍ
وَاللَّيَالِي مِنْ بِهِيجٍ وَشُجِي
وَأَنَا أَسْمَعُ أَقْدَامَ الزَّمَنِ
وَتُخْطِي الْوَحْدَةَ فَوْقَ الدَّرَجِ

* * *

ركني الحاني ومغناي الشفيق
وظلال الخلد للعاني الطليح
علم الله لقد طال الطريق
وأنا جئتكم كيما أستريح

* * *

وعلى بابك القي جعبتني
كغريب آب من وادي المحن
فيك كف الله عني غربتي
ورسا رحلي على أرض الوطن!

* * *

وطني أنت ولكني طريد
أبدئ النفي في عالم بؤسي!
فلإذا عدت فللنجوى أعود
ثم أمضي بعد ما أفرغ كأسِي!

الحنين

(الحنين إذا كبر وزاد
قد يتجسم شخصاً)

أمسي يعذبني ويضنيني
شوقٌ طغى طغيان مجنون
أين الشفاء ولم يعد بيدي
إلاً أضاليلُ تداويني
أبغى الهدوء ولا هدوء وفي
صدري عابٌ غير مأمون
يحتاج ان لَجَّ الحنين به
ويئن فيه أنينَ مطعون
ويظل يضرب في أضالعه
وكأنها قضبان مسجون

وِبحَ الحنين وما يجرعني
 من مُرِّه وببيت يسقيني
 ربيته طفلاً بذلت له
 ما شاء من خفضٍ ومن لينٍ
 فاليوم لما اشتدَّ ساعده
 وربا كنوار البساتين
 لم يرض غير شيبتي ودمي
 زاداً يعيش به ويفنيني
 كم ليلةٍ ليلاء لازمني
 لا يرتضي خلاً له دوني
 ألفي له همساً يخاطبني
 وأرى له ظلاً يماشيني
 متنفساً لهباً يهبُّ على
 وجهي كأنفاس البراكين
 ويضمننا الليل العظيم وما
 كالليل مأوى للمساكين

النأي المحترق

والليل يغشى البرايا	كم مرّة يا حبيبي
ظلام شاكٍ سوايا	أهيم وحدي وما في الـ
وأجعل الشعر نايـا	أصير الدمع لحناً
أشعلته بجوايا	وهل يلّبي حطام
والريح تذرو البقايا	النار توغل فيه
منى وبين المنايا	ما أتعس النأي بين الـ
مرجعاً شكوايا	يشدو ويشدو حزيناً
على هواء الطوايا	مستعظفاً مَنْ طوينا
عرفته في صبايا	حتى يلوح خيالٌ
من ثغره شفتايا	يدنو إليّ وتدنو

إذا بحلمي تلاشى واستيقظت عينايا
ورحت أصغي وأصغي لم ألف إلا صدايا!

المنسي

متى يرق الحظ يا قاسي
ويلتقي المنسي والناسي!
متى! وهل من حيلة في متى
وفي خيالاتٍ وأحداٍ؟
هذ قراري جريها في دمي
وهمسها في كر أنفاسي
وأنت مثل النجم في المنتأى
وفي السنا الخاطف كالماسِ
يرنو له الناس ويبغونه
وما يبالي النجم بالناس!

وأنت كأس الحسن لكننا
مثل جبابٍ حامٍ بالكاسِ
طففا وقد قبَّل أنوارها
ورفَّ مثل الطائر الحاسي!
وجفَّ أو ذاب على نورها
كما يذوب الطلّ بالأس!

تحليل قبلة

ولما التقينا بعد نأي وغربة
شجيين فاضا من أسيّ وحنين
تسائلني عيناك عن سالف الهوى
بقلبي وتستقضي قديم ديون
فقلت وقد ضجّ الهوى في جوانحي
وأنّ من الكتمان أيّ أنين
يبث فمي سرّ الهوى لمقبل
أجود له بالروح غير ضنين
إذا كنت في شك سلي القبلة التي
أذاعت من الأسرار كل دفين

مناجاة اشواق و تجديد موثق
و تبديد اوهام. و فضل ظنون
و شكوى جوى قاس و سقم مبرح
و تسهيد اجفان و صبر سنين!

الحياة

(استمراض للحياة في شارع)

جلستُ يوماً حين حلَّ المساء
وقد مضى يومي بلا مؤنسٍ
أريح أقداماً وهت من عياء
وأرقب العالم من مجلسي!

* * *

أرقبه! يا كَدَّ هذا الرقيب
في طيب الكون وفي باطلة
وما يبالي ذا الخضم العجيب
بناظر يرقب في ساحلة

* * *

سيان ما أجهل أو أعلم
من غامض الليل ولغز النهار
سيستمر المسرح الأعظم
رواية طالت وأين الستار

* * *

عيثُ بالدنيا وأسرارها
وما احتيالي في صموت الرمال!
أنشد في رائع أنوارها
رشدًا فما أغنم إلا الضلال!

* * *

أغمضت عيني دونها خائفاً
مبتغياً لي رحمة في الظلام
فصاح بي صائحها هاتفاً
كأنما يوقظني من منام:

* * *

أنت امرؤٌ ترزح تحت الضنى
لم يبق منك الدهر إلا عناداً
وكل ما تبصره من سنا
يهزأ بالجدوة خلف الرماداً

* * *

وكل ما تُبصره من قوى
تدوي دويّ الريح عند الهبوب
يسخر من مبتسّس قد ثوى
يرنو إلى الدنيا بعين الغروب!

* * *

انظر إلى شتى معاني الجمال
منبثة في الأرض أو في السماء
ألا ترى في كل هذا الجلال
غير نذير طالعٍ بالفناء!

* * *

كم عادة بين الصبا والشباب
تأنق الصانع في صنعها
تخطر والأنظار تحدو الركاب
ولفظة الاعجاب في سمعها!

* * *

وربما سار إلى جنبها
مدلّهُ ليس يبالي الرقيب
يمشي شديد العجب في قربها
إذ راح يوليها ذراع الحبيب!

* * *

وانظر إلى سيارة كالأجل
تخطف خطفاً لا تُبالي الزحام
هذا الردى الجارى اختراع الرجل
هل بعد صنع الموت شيء يُرام!

* * *

وانظر إلى هذا القويّ الجسد
الباتر العزم الشديد الكفاح!
قد أقبل الليل فحيّ الجلد
في رجل يدأب منذ الصباح

* * *

أجبت: يا دنيائي من تخدعين؟
لاني امرؤ ضاق بهذا الخداع
مزقت عن عيشي. هنيّ السنين
لأنني مزقتُ عنك القناع!

* * *

ان الجمالَ الساحرَ الفاتنا
يا ويحه حين تغير الغضون
ويعبث الدهر بحلو الجنى
وتستر الصبغة إثم السنين!

* * *

وهذه السيارة العاتية
وربها الجبار كالبرق سار
ما هي الا شَعْلُ فانية
نصيبها مثل شعاع النهار

* * *

وارحمته للقوي الصبور
يقضي الليالي في كفاح سخي
وكيف لا أبكي لكح الفقير
أقصى مناه أن ينال الرغيف!

* * *

كم صَحْتُ إذا أبصرت هذا الجهاد
وميسم الذلة فوق الجباه
يا حسرتا ماذا يلاقي العباد
أَكُلُ هذا في سبيل الحياة؟!

* * *

وفي سبيل الزاد والمأكَل
نملأ صدر الأرض إعوالا
كم يسخر النجم بنا من عل
وكم يرانا الله أطفالا!

* * *

ياربُّ غفرانك إنا صغارُ
ندبٌ في الدنيا ديب الغرورُ
نسحب في الأرض ذيول الصغارُ
والشيبُ تأديبٌ لنا والقبورُ!

قلب راقصة

أمسيْتُ أشكو الضيقَ والأينا
مستغرقاً في الفكرِ والسأمِ
فمضيْتُ لا أدري إلى أينَا
ومشيت حيث تجرّني قدمي

* * *

فرأيت فيما أبصرت عيني
ملهُّ أعدّ لي بهج الناسا
يجلون فيه فرائد الحسنِ
وباع فيه اللهو أجناسا

* * *

بفرائب الألوان مزدهر
وتراه بالأضواء مغموراً
فقصدته عَجَلاً ولي بصرُ
شبه الفراشة يعشق النوراً

* * *

ودخلته اجتازُ مزدحمأ
بالخَلْقِ أفواجاً وأفواجاً
وأخوض بحراً بات ملتطماً
بالناس أمواجاً وأمواجاً

* * *

فقدوا حجامهم حينما طربوا
ودووا دويّ البحر صخّاباً
فلإذا استقرّوا لحظة صخبوا
لا يملكون النفس إعجاباً

* * *

متوثبين يميل صفهم
متطلع الأعناق يتقدُّ
ومصفقين علّك أكفهم
فوَارة فكانها الزبدُ

* * *

لِمَ لا أثور اليوم ثورتهم؟
لِمَ لا أجربُ ما يحبونا؟
لِمَ لا أصبح اليوم صيحتهم؟
لِمَ لا أضجّ كما يضجوننا؟!

* * *

لِمَ لا تذوق كؤوسهم شفتي؟
إنّ الحجا سَمّي وتدميري
في ذمة الشيطان فلسفتي
ورزانتني ووقار تفكيري!

* * *

يا قلباً ضقتَ وها هنا سعة
ومجال مصفودٍ بأغلال
أتقول أعماراً مضية ١٩٢٠
ماذا صنعت بعمرِكَ الغالي؟!

* * *

انظر ترَ السيقان عارية
وترَ الخصور ضوامراً تغري
وتجذّ عيون اللهو جارية
فهنا الحياة! وأنت لا تدري

* * *

مَنْ هَاتِهِ الحسنة يا عيني؟
 السحرُ كُلُّهَا وظلُّهَا
 كالطير من غصنٍ إلى غصنٍ
 وثابة، وثب الفؤاد لها!

* * *

وتراه حسناً غيرَ كذابٍ
 لا ما يزيفه لك الضوء
 ويزيد فتنتها باغرابٍ
 حزنٌ وراء الحسن مخبوءاً!

* * *

ثم اختفت والجمع يرقبها
 ويلح: عودي! ليس يرحمها
 هي متعة للحس يطلبها
 وأنا بروحي بث أفهمها!

* * *

ورأيتها في آخر الليل
 في فتية نصبوا لها شركاً
 يعلو سناها الحزن كالظل
 مسكينة تتكلف الضحكا

* * *

فمضيئُ تَوْأً، قلت: سيدتي!
زنتِ المراقص أَيْما زيناً!
هل تأذنين الآن ساحرتي
تأكيدَ اعجابي بكأسين؟

* * *

فتمنعت وأنا ألحّ سديّ
بالقول أغريها وأعتذر
فاستدركت. قالت: أراك غداً
ان شئت. اني اليوم أعتذر

* * *

وتحولت عني لرفقتها
ما بين منتظرٍ ومرتقب
فتانة تغرى ببسمتها
وتحدّد الميعاد في أدب

* * *

حان اللقاء بغادتي وأنا
أخشى سراباً خادعاً منها
متلهفاً أستبطف الزمناً
وأظل أسأل ساعتني عنها

* * *

وأجبل عين الريب ملتفتاً
منطلقاً للباب حيرانا
وأقول: ما يدريك أي فتى
هي في ذراعي حبه، الأنا!

* * *

مَنْ ذا يُصَدِّقُ وعدَ فاتنة
لا ترحم الأرواح إتلانا
أنشى تلاقى كل آونة
رجلاً وترمي الوعد آلفا

* * *

وهمت بعد اليأس أن أمضي
فاذا بها تختال عن بُعد
ميّزتها بشبابها الفض
ويقدّها، أفديه من قددا

* * *

يا للقلوب لملتقى اثنين
لا يعلمان لأيّما سبب
جمعتهما الدنيا غريبين
فتآلفا في خلوة عجب

* * *

عجباً لقلب كان مطمعه
طَرِباً فجاء الأمرُ بالعكس
وأشدُّ ما في الكون أجمعه
بين القلوب أواصرُ البؤس

* * *

مَنْ أَنْتَ يَا مَنْ رَوْحَهَا اقْتَرَبَتْ
مَنْي وَخَاطَبَ دَمْعُهَا رَوْحِي
صَبَّتهُ فِي كَاسِي! وَمَا سَكَبَتْ
فِيهِ سِوَى أَنْاتٍ مَذْبُوحِ

* * *

عَجِباً لَنَا! فِي لَحْظَةٍ صَرْنَا
مُتَفَاهِمِينَ بِغَيْرِ مَا أَمَدَا
يَا مَنْ لَقَيْتَكَ أَمْسًا! هَلْ كُنَّا
رَوْحِينَ مَمْتَزَجِينَ فِي الْأَبَدِ؟!

* * *

هَاتِي حَدِيثَ السَّقَمِ وَالْوَصَبِ
وَصِفِي حَقَّارَةَ هَذِهِ الدُّنْيَا
أَنِّي رَأَيْتُ أَسَاكَ عَنْ كَثْبِ
وَلَمَسْتُ كَرْبِكَ نَابِضاً حَيًّا

* * *

لا تكتمي في الصدر أسراراً
وتحدثي كيف الأسى شاء
أنا لا أرى إثمأً ولا عاراً
لكن أرى امرأةً وبأساء

* * *

تجدين فكرك جدّ مبتعد
والناس نحو سناك دانونا
وترين حالك حال منفرد
والقوم كثر لا يُعدّونا!

* * *

وترين أنكِ حيثما كنتِ
ترضين خَوّانين أنذاًلا!
يبغونه جسداً فإن بعث
بذلوا النضار وأجزلوا المالا!

* * *

يا حرّها من عبرةٍ سالث
مِن فاتكِ العينين مكحولِ
وعذابها من وحشة طالث
وحنين مجهولٍ لمجهولِ

* * *

أفنيّتِ عمرك في تطلبه
ويكاد يأكل روحك المملُ
فإذا بدا مَنْ تعجبين به
وتقول روحك: ها هو الأمل!

* * *

أدميت قلبك في تقرّبه
والقلب إن يخلص يَهْنُ دمه
فإذا حسبتِ بأن ظفرتِ به
فازت به من ليس تفهمه

* * *

سكتت وقد عجبت لخلوتنا
طالت كأنا جدّ عشاق
وأقول: يا طرباً لنشوتنا
صرعى المدامة والجوى الساقى!

* * *

أفديكِ باكيةً وجازعةً
قد لفّها في ثوبه الغسقُ
ودعتها شمساً مودّعة
ذهبت وعندي الجرحُ والشفقُ

* * *

تمضي، وتجهل كيف أكبرها
إذ تختفي في حالك الظلم
روحاً إذا أثمت يطهرها
ناران: نار الصبر والألم!

الميعاد

إن عُدتْ أو أخلفت لم تعدِ
أنا إلف روحك آخر الأبدِ
ظماً على ظماً على ظماً
ومواردٌ كثرٌ ولم أرِدِ
مرُّ الظلامِ وأنت لي شجنٌ
وأنتى النهارُ وأنت في خلدي
لا يسمع البحرُ الغضوب إلى
شاكٍ ولا يصغي إلى أحدا
كم لاح لي حربُ الحياة على
أمواجه المجنونة الزبدِ

ورأيت طيفَ الضنك مرتسماً
 في عاصفِ الأنواء مطّرد
 في الليل مدّ رواقه وثوى
 كجوانح طُويت على حسيـ
 قبر مَبَاهِجِه بلا عديـ
 لفتى متاعبه بلا عديـ
 مَنْ يومه يوم بلا أملٍ
 وغدٌ بلا سلوى وبعد غدٍ
 لولاك والعهد الذي عقدت
 بيني وبينك مهجتي ويدي
 أضجعتُ جنبي جوف غيـهـ
 وأرحتُ فيه بالي الجسدِ
 يا مخلف الميعاد عدّ لتري
 جزعَ الغريب وضيعة الرشدِ
 وليالياً موصولة سهرأ
 أبدية حجرية الكبدِ
 وطليح أسفار وعلته
 قتالة لم تشف في بلدٍ
 يا شعر أيامي وأغنيـتي
 وغليل ظمآن الشفاه صدي!

يا ظالمي! عيناك كم وعدت
قلبي إذا شفتاك لم تعد

الميت الحي

(كان الشاعر مريضاً وشعر
أنه ينتهي فكتب القصيدة التالية)

داوِ ناري والشياعي وتمهّل في وداعي
يا حبيب العمر هبّ لي بضع لحظاتٍ سراع
قفّ تأمل مغربَ العمر وإخفاقَ الشعاع
وابكِ جبار الليالي هذه طول الصراع
واضياع الحزن والدمع على العمر المضاع
وهتاف القلب بالشكوى على غير انتفاع
ما يهّمّ الناس من نجم على وشك الزماع
غاب من بعد طلوعٍ ونجا بعد التماع؟
طال بي سُهدي وإعيائي وقد حان اضطجاعي
وإذا الراحة حانت بعد لأيٍ ونزاع

فصدور الغيد سيان وأنياب السباع!

* * *

آه لو تقضي الليالي لشئت باجتماع
كم تمنيتُ وكم من أملٍ مرَّ الخداع!
وقفه أقرأ فيها لك أشعار الوداع
ساعة أغفر فيها لك أجيال امتناع
يا مناجاتي وسرِّي وخيالي وابتداعي
ومتاعاً لعيوني وشميمي وسماعي
تبعث السلوى وتنسى الموت مهتوك القناع:
دمعة الحزن التي تسكبها فوق ذراعي!

الوداع

حان حرمانني وناداني النذيرُ
ما الذي أعددت لي قبل المسيرُ
زمني ضاع وما أنصفتني
زادني الأول كالزاد الأخيرُ
رئي عمري من أكاذيب المنى
وطعامي من عفاف وضميرُ
وعلى كفك قلبٌ ودمُ
وعلى بابك قيدٌ وأسيرُ



حَانَ حَرْمَانِي فَدَعْنِي يَا حَبِيبِي
هَذِهِ الْجَنَّةُ لَيْسَتْ مِنْ نَصِيبِي
أَهْ مِنْ دَارِ نَعِيمٍ كُلَّمَا
جَثَّهَا أَجْتَازَ جَسْراً مِنْ لَهَيْبِ
وَأَنَا الْفَكَ فِي ظِلِّ الصُّبَا
وَالشَّبَابِ الْغَضِّ وَالْعَمْرِ الْقَشِيبِ
أَنْزَلَ الرِّبْوَةَ ضَيْفاً عَابِراً
ثُمَّ أَمْضِي عَنْكَ كَالطَّيْرِ الْغَرِيبِ

* * *

لَمْ يَا هَاجِرُ أَصْبَحْتَ رَحِيماً
وَالْحَنَّانِ الْجَمِّ وَالرَّقَّةِ فِيمَا؟
لَمْ تَسْقِينِي مِنْ شَهْدِ الرِّضَا
وَتَلَاقِينِي عَطُوفاً وَكَرِيماً؟
كُلُّ شَيْءٍ صَارَ مَرّاً فِي فَمِي
بَعْدَ مَا أَصْبَحْتَ بِالدُّنْيَا عَلِيماً
أَهْ مِنْ يَأْخُذُ عَمْرِي كُلَّهُ
وَيَعِيدُ الطِّفْلَ وَالْجَهْلَ الْقَدِيمَا؟

* * *

هَلْ رَأَى الْحُبَّ سَكَارَى مِثْلُنَا؟
كَمْ بَنِينَا مِنْ خِيَالٍ حَوْلُنَا؟

ومشيناً في طريق مقمر
تشب الفرحة فيه قبلنا!
وتطلعنا إلى أنجمه
فتهاوين وأصبحن لنا!
وضحكنا ضحك طفلين معاً
وعدونا فسبقنا ظلنا!

* * *

وانتهنا بعد ما زال الرحيق
وأفقنا. ليك أنا لا نفيق!
يقظة طاحت بأحلام الكرى
وتولّى الليل، واللّيل صديق
وإذا النور نذير. طالع
وإذا الفجر مطل كالحريق
وإذا الدنيا كما نعرفها
وإذا الأحباب كل في طريق

* * *

هات أسعدني ودّعني أسعدك
قد دنا بعد التّسائي موردك
فأذقنيه فلاني ذاهب
لا غدي يُرجى ولا يُرجى غدك

وابلائي من ليالي التي
قرئت حيني وراحت تبعذك! !
لا تدعني ليلي فغداً
تجرح الفرقة ما تأسو يدك!

* * *

أزف البين وقد حان الذهاب
هذه اللحظة قدت من عذاب
أزف البين، وهل كان النوى
يا حبيبي غير أن أغلق باب؟!
مضت الشمس فأمسيت وقد
أغلقت دوني أبواب السحاب
وتلفك على آثارها
أسأل الليل! ومن لي بالجواب؟!

الزائر

يا للحبيب المفدَّى غداة زار وسلَّم
 مستحيّاً والهوى في ركابه يتضرَّم
 وصامتاً وهو أيكُ بألف شدو ترنم
 ناداه قلبي! وناجاه خاطري! وهو يعلم!
 يا مطلعَ السحر والنور والجمال! تكَلَّم!
 أبْنِ! وإلا أعنْ قلبي الممزَّق وارحَمْ!

* * *

يا غازياً يضرب القلب وهو حصنٌ مُعْظَم
 لمَّا طلعت عليه وهى وأنَّ وسلَّم
 يا فتنة تنهادى ورحمة تنبسم

إن لم يكن لي رجاء ولا لحظي مغنم
أو لم يعد لي نصيب دعي بحسبك أحلم!

الليالي

مكانيّ الهادئ البعيد
كُن لي مجيراً من الأنام
قد أمكّ الهارب الطريد
فأوه أنت والظلام

* * *

يا حسنّها ساعة انفصال
لا ضنك فيها ولا نكد
يا حقبة الوهم والخيال
هلاً تمهلت للأبد!

* * *

يا أيها العالم الأخير
ماذا ترى فيك من نصيب؟
أراحةً فيك للضمير
أم موعداً فيك من حبيب؟

* * *

كم يَعذُّب الموت لو نراه
أو كان فيك اللقاء يُرجى
ينفض عن عينه كراه
ويقبل الراقد المسجى!

* * *

لكن شكاً بما تجنُّ
خيّم فوق العقول جمعا
عجبتُ للمرء كم يثنُّ
ويستطيب الحياة مَرعى

* * *

قد صار حبُّ الحياة منا
يقنع بالجيفة السباع
وعلم السمخ أن يضئاً
وثبتَّ السجين في الطباع!

* * *

طال بنا الصمت والجمود
لا البدر يوحى ولا الغدير
يا عالم الضيم والقيود
برُحت بالطائر الأسير!

* * *

هربتُ من عالمٍ أضراً
وجئتُ يا كعبتي أزور
هاتي خيلاً إذن وشعراً
أسكبه في فم الدهور!

* * *

هربتُ من عالم الشقاء
وجئتُ عليّ لديك أحياء
أشرب من روعة السماء
شعراً وأسقي الفؤاد حياء!

* * *

ملكتُ في هاته العوالم
مهزلة الموت والحياة
وصورة القيد في المعاصم
ووصمة الذلّ في الجباه

* * *

هياكلُ تعبر السنين
واحدة العيش والنظام
واحدة السخط والأنين
واحدة الحقد والخصام!

* * *

وواحد ذلك الطلاب
يسترُ خزيًا من الطباغ
أفنى البلى أوجه الرياء
ولم يذب ذلك القناع!

* * *

بعينها كذبة الدموع
بعينها ضحكة الخداع
ومُنحنى هاته الضلوع
على صوادٍ بها جياغ!

* * *

كأن صدر الظلام ضاق
من كثرة البث كل حين!
يا ويحه كيف قد أطاق
شكوى البرايا على السنين؟!

* * *

كأنما ينفث الشهبُ
تخفيف كربٍ يئنّ منه
كالقلب إن ضاق واكتأبُ
تخفف الذكريات عنه

* * *

كم زفرة في الضلوع قرّت
يحوطها هيكلاً مريضاً
مبيدة حيثما استقرت
فان نبج سميت قريضاً

* * *

كم في الدجى آهةٌ تطول
تسري الى أذنه وشعرًا
لو يفهم النجم ما نقول
أو يفهم الليل ما نُسرًا

* * *

ما بالها أعين الفلك
منتثرات على الفضاء
تطل من قاتم الحلك
بغير فهمٍ ولا ذكاء!

* * *

ألا وفيُّ ألا معين
في مدلهم بلا صباح؟
وكَلِّمَا جَدُّ لي أنينُ
تسخر بي أنة الرياح!

* * *

هبناشكونا بلا انقطاع
ما حظ شاكٍ بلا سميع
وحظ شعرٍ إذا أطاع
يا ليتَه عاش لا يطيع

* * *

يضيع في لجة الزمن
مبدداً فني الورى صداة
ولن ترى في الوجود مَنْ
يدري عذاب الذي تلاه!

* * *

يا أيها النهر بي حسد
لكل جارٍ عليك رف
أَكُلُّ راجٍ كما يؤد
يروى ظمأه ويرتشف

* * *

ومن حبيب إلى حبيب
ترنو حناناً وتبتسم
وكل غادٍ له نصيب
من مائك البارد الشبم

* * *

يا نهرُ رويت كل ظامي
فراح ريان إن يذُق
فكن رحيماً على أوامي
فلي فمٌ بات يحترق

* * *

يا نهر لي جذوة بجنبي
هادئة الجمر بالنهار
فإن دنا الليل برحت بي
وساكن الليل كم أثار

* * *

وقفت حرّان في إزائك
فهل ترى منك مسعدٌ؟
وددت ألقى بها لمائك
لعلها فيك تبرّد

عالج لظاهما فإن سكن
فرحمةً منك لا تحذ
وإن عصت نارها فكن
قبراً لها آخر الأبد!

* * *

تريني الهاجر الشثيث
وقربه ليس لي ببال
وكلما خلتني نسيث
مرّ أمامي له خيال

* * *

تمر ذكرى وراء ذكرى
وكل ذكرى لها دموع
وتعبر المشجيات تترى
من كل ماضٍ بلا رجوع

* * *

ماضٍ وكم فيه من عثار
ومن عذابٍ قد انقضى
كم قلت لا يرفع الستار
ولا ادكأُ لما مضى!

* * *

يا من أرى الآن نصب عيني
خياله عطر النسَم
بالله ما تبتغيه مني
ولم تدع لي سوى الألم

* * *

في ذمة الله ما أضعتم
من مهجٍ أصبحت هباء
لم نجزكم بالذي صنعتم
إنّا غفرنا لمن أساء

* * *

لا تحسبوا البرء قد أَلَمَّ
فلم يزل جرحنا جديدا
يخدعنا أنه التأم
ولم يزل يخبأ الصديدا!

* * *

يا أيها الليل جئتُ أبكي
وجئتُ أسلو وجئت أنسى
طال عذابي! وطال شكي.
ومات قلبي، وما تأسى!

الجمال الضنين

قلُّ للبخیل إذا ما عزُّ مشرعهُ:
يا مانع الماء عني كيف تمنعهُ
اغرِّ حسنك أن الخلد جدوله
وأنَّه من غريب السحر منبعه؟
يا أيها الكوكب المحبوس في فلكِ
مبددٌ مجده فيه مضيَّعهُ!
هيهات يخلد حسنٌ لا يؤلَّهه
شعرٌ من النسق الأعلى ويرفَّعهُ!
أنا شهيدك، والقلب الضحوك إذا
أدميته، والمغني إذ تقطَّعهُ

هل منك يوم رضى ضنّ الزمان به
أعيا خيالي وأضناني توقّعه؟!
كم بئ متبهاً أصغي لخطوته
أراه في الوهم أحياناً وأسمعه!
وأنت في أفق الأوهام طيف صبا
سما ودقّ على الأنفهام موضعه
كأنك النسم النشوان منطلقاً
أظل كالنفس الحيران أتبعه
تعالِ وادنْ بيوم لا نحسّ به
أجسادنا. في صفاء لا نضيعه!
لكن أحسك تجري في صميم دمي
أنت الحياة، وأنت الكون أجمعه!

ليالي الارق

(زيارة من حبيب يسأل: لماذا نتلقى هذه
اللحظات الهاربة ما دمنا نفترق بعد ذلك).

هل في العصب المدهم	مصغٍ لشاكٍ لم ينم
سهلاً على سهدٍ وذكر	ي فوق ذكرى تزدحم
وحنين قلب لا يثو	ب إلى حبالٍ لا يلّم
يا من أحب وافندي	ويلد لي فيه الألم
لو كنت تسمع لاسترح	ت من الشكاية للظلم
ان الكواكب ضغن بي	ذرعاً وآسيها سثم
ومن العجائب في اليا	لي والحوادث تستجم
شكوى الحيارى في الحياة	إلى حيارى في السدم!

* * *

لمن انتظاري في الظلام كأن بي شبه اللم؟

لا صوت فيه ولا قدم؟
خطاك هذي عن أمم؟
لي في غرامك من قدم
هام كواذب كالحلم
د وخلق روحك في النسم
ك وربّ ذي يأس وهم
شك وهو معبود النغم
ك على جمال يضطرم
ك وأي قلب لم يحم!

* * *

للة طُلّ صباحاً فابتسم
ل على الذوائب والقمم
س بعد مستعصى السقم
قدر النهاية واستتم
وبأي حصن اعتصم؟

* * *

يطل اللقاء ولّم يقم
روحي ولا نظري النهم
وجرت بنعمي لم تتم
بها سوى عبق ينم

وتساؤلي في حالك
وعلام اصغائي لعل
ليلي العشيّة مثل ليد
يا طالما أدنتك أو
فلمحت صبحك في السوا
وشفيت وهمي من رضا
ورويت أذني من حديد
وحرقت قلبي من سنا
كفراشة حامت عليه

لك حسن نوار الخمي
لك نظرة الفجر الجمي
لك طلعة البرء المرجّ
لك كل ما أوفى على
فبأي قلب أتقي

يا زائراً عجلان لم
ودّعت ما أشبعت لي
ومضيت عن دنيا خلّت
لم يبق من أثر اللقاء

يسألني وَمَنْ لي بالكلم	وسؤالٍ دمعك حين
غفت العيون ونحن لَمَّا	لِمَ يا أليفَ خواطري
في عُبابٍ يلتطم	ولامَ تدفعنا الحوادث
دير الخفية والقسم	دَفَعَتْ بمركبنا المقام
ة بأي صخر ترتطم	خَرَجَتْ وما تدري الغدا
والله يدري المختتم	بدأتْ عَلَى ريح الرضا

صخرة الملتقى

(صخرة بين البحر والصحراء كنا نتلاقى
عندها ونستلهم البحر والصحراء أشعارنا).

سألتك يا صخرة الملتقى
متى يجمع الدهر ما فرّقنا!
فيا صخرةً جمعت مهجّتين
أفاء إلى حسنهما المنتقى!
إذا الدهر لَجَّ بأقداره
أجدُّا على ظهرها الموثقا
قرأنا عَلَيْكِ كتاب الحياة
وفضَّ الهوى سرها المغلّقا
نرى الشمس ذائبة في العباب
وننتظر البدر في المرتقى

إذا نشر الغرب أثوابه
 وأطلق في النفس ما أطلقا
 نقول هل الشمس قد خضبت
 وخلَّت به دمها المهرقا
 أم الغرب كالقلب دامي الجراح
 له طلبةٌ عزٌّ أن تلحقا
 فياصورة في نواحي السحاب
 رأينا بها همنا المفرقا
 لنا الله مِنْ صَوْرَةٍ في الضمير
 يرَاهَا الفتى كلما أطرقا
 يرى صورة الجرح طيَّ الفؤاد
 ما زال ملتهباً محرقا
 ويأبى الوفاء عليه اندمالاً
 ويأبى التذُّكر أن يشفقا
 فإِذَا صَخْرَةَ العهد أبث اليك
 وقد مُزَّق الشَّمْل ما مزقا
 أريك مشيب الفؤاد الشهيد
 والشيب ما كلَّل المفرقا
 شكَا أسره في حبال الهوى
 وود على الله أن يُعتقا

فلما قضى الحظ فك الأسير
حنَّ إلى أسرهِ مطلقاً

الشك

(قد يظفر المرء بقرب حبيبه، ولكنه يشك
في هذا النعيم الذي لقيه، فيبكي في النعمة
كما يبكي في الشقاء).

بي ما تحسّ وفي فؤادك ما بي
فتعال نبك أيا نجيّ شبابي
تجري الدموع وأنت دَانٍ واصلُ
كمسيلهن وأنت في الغيابِ
أنكرت بي ناري عشية لامست
شفتاي مِنْكَ أنامل العنابِ
وجرت يميني في غزيرِ حالكِ
مسترسل كالجدول المنسابِ
وسألت ما صمتي وما إطراقتي
وعَلامَ ظَلَّتْ حيرة المرتابِ

أقبل أذقني ما اليقين وهاته
 خلواً من الآلام والأوصابِ
 أقبل لأقسم في حياتي مرة
 ان الذي أسقاه ليس بصابِ
 لهفي على هذا اليقين! وطعمه
 بفي وتكذيبي شهى شرابي!

* * *

من أنت؟! من أي العوالم ساحرٌ
 مستأثر بأعنة الألبابِ؟
 حدثت نفسي إذ رأيتك بادياً
 وأطلت تسألني بغير جوابِ
 ما يصنع الملك الطهور بعالمِ
 فانِ وأيامِ كلمع سرابِ؟
 ما يصنع الأبرار بالأرض التي
 ساوت من الأبرار والأوشابِ؟
 دؤارةً أبد السنين كعهدها
 من ليل آثامٍ لصبح هتابِ
 تغلو الحياة بها الى أن تنتهي
 عند التراب رخيصة كترابِ!

يا هيكل الحسن المبارك ركنه
الساحر النور الطهور رحاب
لا صدقَ إلا في لهيبك وحده
وجلاله الباقي على الأحقاب
قدمتُ قرباني إليك بقية
من مهجة ضاعت على الأجاب
وأذبتُ جوهرها فداءً نواظير
قُدسيّة، عُلوّيّة المحراب!

خواطر الغروب

قلْتُ للبحر إذ وقفت مساءً
كم أطلت الوقوف والاصغاء
وجعلت النسيم زاداً لروحي
وشربت الظلال والأضواء
لكأنَّ الأضواء مختلفات
جَعَلْتُ منك رَوْضَةً غَنَاءَ
مَرُّ بي عطرها فأسْكِرَ نفسي
وَسَرَى في جوانحي كيف شاء
نشوة لم تطل! صحا القلب منها
مثل ما كان أو أشدَّ عناء

إنما يعهم الشبيه شبيهاً
 أيها البحر! نحن لسنا سواء
 أنت باقٍ ونحن حرب الليالي
 مَزَقْتَنَا وصيرتْنَا هباءً
 أنت عاتٍ ونحن كالزبد الذا
 هب يعلو حيناً ويمضي جُفَاءً
 وعجيبٌ اليك يممْتُ وَجْهِي
 إذ ملكتُ الحياةَ والأحياءَ
 أبتغي عنذك التأسّي وما تم
 لك رَدّاً ولا تجيب نداءً!

* * *

كل يومٍ تساؤلٌ... ليت شعري
 من ينبّي فيحسن الإنباء؟
 ما تقول الأمواج! ما آلمَ الشم
 سَ فوَلَّتْ حزينه صفراءَ
 تركتْنَا وخلفت ليلَ شِكِّ
 أبديٍّ والظلمةَ الخرساءَ!
 وكأنَّ القضاء يسخر مني
 حين أبكى وما عرفتُ البكاءَ

ويح دَمعي وويح ذلة نفسي
لَمْ تدع لي أحداثه كبرياءاً

مناجاة الهاجر

دع النفس تمرّح في خيالٍ وأوهام
وخلّ لأجفاني كواذب أحلامي
وقل يا حبيب القلب انك عائد
على جهل حساد وغفلة لؤام
وإنك دانٍ كالربيع وزائر
بضاحك نوار ومخضّل أكمام
تعال اسقني خمر المواعيد والرضا
وخلّ الأمانى البيض تغمر أسقامي
أبحرم حتى وهم حبك من رمى
بمهجته في ناره دون إحجام

وأنفق فيه قلبه وشبابه
 فلم يَبْقَ إِلَّا الجرح والشفق الدامي!
 ومن عجب أحنو على السهم غائراً
 ويسألني قلبي متى يرجع الرامي!
 فيا لهفه لو كنت أدري بموعدي
 وراء الليالي أو رجاء بإمام
 ولو كان عندي غير زفرة آسف
 وحسرة أشعارٍ ودمعة أقلامٍ
 ولو كنت أدري كيف يصفو مغاضبٌ
 كأن رضاه في ذرى الكوكب السامي
 كأن اثتلاق النجم والنجم مُشرقٌ
 ثناياه تبدو في عبوسة أيامي
 كأن نسيم الليل يحمل طيبه
 كأن اصطدام الموج معبود أقدام!
 فيا أمني النائي إذا كنت مذنباً
 فقد تبت عن ذنبي إليك بآلامي!
 حبيبتك، لا أدري الهوى ما وراءه
 وما بعد سقمي فيك عاماً على عامٍ
 جمالك نبراسي وروحك كعبي
 وعيناك وحيي في الحياة وإلهامي!

الصورة

يا رسم من أعطى الهوى
في جبه فني الصبا
يا وبح ما ضيعت فيه
ماضي ضاع ولو قدر
يا رسم! كم من ليلة
حتى رجعت مخادعاً
أرئو لدمعي بادياً
فإخال عينك هزها
فبككت وتلك دموعها
مفتاح قلبي المقفل
وشباب أيامي بلي
ه من قليل مخجل
ت لجدت بالمستقبل
أبكي وأستبكيك لي
ومضيك جد مضلل
في وجهك المتهلل
شكوى الغريب المهمل
هذي تسيل وذئ تلي

رجوع الغريب

عادتْ لطائرِها الذي غَنَّاها
وَشَدَا فهاجَ حَنِينُها وشَجَاها
أَيُّ الحِظوظِ أعادها لَوَفِيَّها
ونجَّى وحدتها وإلفَ صباها
مَشبوبةُ التحنُّانِ نكتمُ نارها
عَبْثاً وتَأبَى أن يبينَ لظاها
يا إلفيَّ المعبود! سِرِّكَ ذائع
نار الحنينِ دفينها أفساها

* * *

ماذا لقينا من لقاءٍ خاطفٍ
وعشية كالبرق حان ضحاها ١٩
يا ويح هاتيك الثواني لم تقف
حتى نسيغ هناءةً ذقناها!
حتى يمتنع باليقين مكذب
عينيه في رؤيا يضلّ سناها
تمضي لها الأبصار مُشعلة الهوى
وتحول عنها ما تُطبق لقاءها!

* * *

تخبو العواطف في الصدور وتنتهي
ويجف في زهر القلوب نداها!
وأنا أحسّ اليوم بدء علاقة
وعنيف ثورتها وحزّ مُدّاهَا!

* * *

لم ترو منك نواظري وخواطري
ورجعت أذكي مهجةً وشفاهَا!
مدّ الخريف على الرياض رواقه
ومضى الربيع الطلق ما يغشاها
ما بالرياض! كآبةً في أرضها
وسحابة تغشى أديم سماها!

جمدت حمائم أيكها وأنا الذي
شاكيها فاغرورقت عيناهَا!

* * *

كيف السبيلُ إلى شفاء صباة
الدهر أجمع ما يبلُ صداهاَا!
والى نسائم جنة سحرية
قرّحت أجفاني على مغناهاَا!
قضيتُ أيامي أضَمَّ خيالها
وأضعت أيامي أقول عساهاَا!

قميص النوم

(كان الشاعر مريضاً فارتدى قميص النوم
فشفي).

يا ليلةً سبحت في العمر وانصرفت
هَلْ رَجَعْتَ؟ وهَلْ عَادَ أَحِبَابِي؟
(يا ليت شهدك إذ لم يَبْقَ لي أبداً
لَمْ يَبْقَ في القلب تذكّاراً من الصابِ)
لَمْ أُنْسْ مُهْدِيَّ جِلْبَابَهَا وَعَلَى
جَسَمِي مِنَ السَّقَمِ مِنْهَا أَيُّ جِلْبَابِ
قَمِيصُ يَوْسُفَ رَدُّ الْعَيْنِ مَبْصَرَةً
فَفَازَ بِالنُّورِ ذَاكَ الْمَطْرُقَ الْكَابِي
وَأَنْتَ لَوْ أَنَّ رَوْحاً أَزْمَعْتَ سَفْراً
أَعْدَتَهَا وَخَيَالُ الْمَوْتِ بِالْبَابِ

فَذُدْ خِيَالَ الْمَنَآيَا الْيَوْمَ عَنْ رَجُلٍ
أَنْشَبْنَ فِي رُوحِهِ أَشْبَاهَ أَنْيَابٍ
وَلَا عَجَزَتْ فَكَنْ فِي الْمَوْتِ لِي كَفْنًا
أَمْتُ وَأَلْقَى إِلَهِي غَيْرَ هَيَّابٍ

الغد

يا حناناً كيدِ الآسي الرؤوم
وشُعاءً يُشْتَهَى بعد الغيومِ
أنا في بُعْدِكَ مفقودُ الهدى
ضائعُ أغشو إلى نورِ كريمِ
أشتري الأحلامَ في سُوقِ المُنَى
وأبيعُ العُمَرَ في سُوقِ الهمومِ!
لا تَقْلُ لي في غدٍ موعِدُنَا
فالغدُ الموعودُ ناءٍ كالنجومِ!



أَغْدَا قَلْتُ؟ فَعَلَّمَنِي اصْطَبَارَا
 لِيَتَنِي أَخْتَصِرُ الْعُمُرَ اخْتِصَارَا
 عَبَّرْتُ بِي نَشْوَةً مِنْ فَرَحٍ
 فَرَقَضْنَا أَنَا وَالْقَلْبُ سُكَارَى
 وَعَرَانَا طَائِفٌ مِنْ خَبَلٍ
 فَاذْدَفَعْنَا فِي الْأَمَانِي نَتَبَارَى
 سَنَدُمُ النُّورَ حَتَّى يَتَلَاشَى
 وَنَدُمُ اللَّيْلَ حَتَّى يَتَوَارَى!

* * *

انْفَرَدْنَا أَنَا وَالْقَلْبُ عَشِيَا
 نَنْسِجُ الْأُمَالَ وَالنُّجُوى سَوِيَا
 فَرَكِبْنَا الْوَهْمَ نَبْغِي دَارَهَا
 وَطَوِينَا الدَّهْرَ وَالْعَالَمَ طَيَّا
 فَبَلَّغْنَاهَا وَهَلَّلْنَا لَهَا
 وَنَزَّلْنَا الْخُلْدَ فِينَانَا نَدِيَا
 وَلَقِينَا الْحَسْنَ غَضًّا وَالصَّبَا
 وَتَمَلَّيْنَا الْجَلَالَ الْأَبَدِيَا

* * *

قَالَ لِي الْقَلْبُ: أَحَقًّا مَا بَلَّغْنَا؟
 كَيْفَ نَامَ الْقَدْرُ السَّاهِرُ عُنَا؟

أتراها خِدْعَةً حَاقَتْ بِنَا؟
أتراها ظِنَّةٌ مِمَّا ظَنَّنَا؟

قلْتُ: لا تجزع فكم من منزلٍ
عزٌّ حتى صار فوق المَتمنى
أُذِنَ اللّهُ بِهِ بَعْدَ النُّوي
فشوينا واسترحنا وأميئاً!

* * *

يا جِنَانِ الخُلْدِ قَدُمْتُ اعتذاري
إذ يَطُوفُ الخُلْدُ سَقَمِي وِدماري
أيها الأمرُ في مُلْكِ الهوى!
اعفُ عن لَهْفَةِ رُوحِي وأواري
أشتهي ضَمُّكَ حتى أشتفي
فكأنِّي ظامئٌ آخذ ثاري!
غير أني كلَّما امتدت يدي
لعناقٍ خِفْتُ أن تؤذيك ناري!

* * *

أيها النورُ سَلاماً وخشوعاً
أيها المعبودُ صَمْتاً ورُكُوعاً

ملكْت قلبي ولُبي رهبةً
عصفت بالقلب واللُّبَّ جميعاً
رُبُّ قول كنتُ قد أعددتُه
لَكَ إذ ألقاك يَأبى أن يطيعاً
وحيسٍ من عتابٍ في فمي
قد عصاني فتفجرتُ دموعاً!

* * *

لذعتني دمة تلفح خدي
نبهتني من ضلالٍ ليس يُجدي
واختفتُ تلك الرؤى عن ناظري
وطواها الغيبُ في سحري بُردٍ
وتلفُتُ فلا أنت ولا
جنةُ الخلد ولا أطيافُ سعدٍ
وإذا بي غارقٌ في محنتي
وبلائي، أقطعُ الأيامَ وحدي

* * *

هاتِ قيثاري ودعني للخيالِ
واسقني الوهمَ! وعَلَّ بالمحالِ!
ودع الصدق لمن ينشده
الحجى خصمي فاغمر بالفضلالِ

وَأُخَذَ الْأَنْوَارَ عَنِّي، رِيْمَا
أَجَدَّ الرَّحْمَةَ فِي جَوْفِ اللَّيَالِي
خَلَّنِي بِالشَّوْقِ أَسْتَدْنِي غَدًا
فَغَدًا عِنْدِي كَأَبَدٍ طَوَالِ!

رثاء شوقي

(ألقيت على قبر فقيد الشعر)

قلْ للذين بَكَوْا على (شوقي)
النادبين مصارع الشُّهْبِ
والهَفْتَاءِ لمصر والشُّرْقِ
ولدولة الأشعار والأدبِ!

* * *

دنيا تَقْرُ اليومَ في لحدٍ
وصحيفةٌ طُوِثَ من المجدِ
ومُسَافِرٌ ماضٍ إلى الخلدِ
سَبَقَتْهُ آلاءُ بلا عَدٍّ

* * *

هذا ثرى مضرَ الكريم، وكم
أكرمته وأشدت بالذكر
يلقاك في عطفِ الحبيبِ فنم
في النور لا في ظلمةِ القبرا

* * *

كم من دفينِ رحى تحييه
وبعثته وكففت غرْبته
فاحللْ عليه مكرماً فيه
يا طالما قدست تربته

* * *

يا نازلَ الصحراءِ موحشةً
رئانةً بالصمت والعدم
سالت بها العبرات مجهشةً
وجرت بها الأحزان من قدم!

* * *

هذا طريق قد ألفناه
نمشي وراء مُشيعِ غالٍ
كم من حبيب قد بكيناه
لم يُمنَح من خلدٍ ولا بالٍ

* * *

وكأنَّ يومك في فجيعة
هو أول الأيام في الشَّجنِ
وكأنَّما الباكي بدمعته
ما ذاق قبلك لوعة الحزنِ!
* * *

فاذهب كما ذهب النهار مضى
قد شيعته مدامعُ الشفق
واغرب كما غرب الشعاع قضى
رقت عليه جوانح الغسق
* * *

ما كنت إلا أمةً ذهبت
والعبقريَّة أمةُ الأمم
أو شُعلة أبصارنا خلبت
ومنارة نُصبت على عَلمِ
* * *

يا راقداً قد بات في مَثوى
بُعِدتْ به الدُّنيا وما بَعْدَا
أين النجوم أصوغ ما أهوى
شعراً كشعرك خالداً أبداً؟!
* * *

لكنْ حزني لو علمت به
لم يُثِقِ لي صبراً ولا جُهداً
فاعذر إلى يومٍ نفيك به
حقَّ النبوغ ونذكر المجداً

هبة السماء

(القيت في حفلة تأبين المرحوم أحمد
شوقي بك بمسرح حديقة الأزبكية).

يتهافنون على الفناء	راحوا بأرواحِ ظمأ
لم تلق دونهم رواء	جفت حلوَقُ بعدهم
د ومنهلٍ فيه الشفاء	واهاً لكأسٍ كالخُلو
دُوضاق بالدنيا وناء	كنا إذا ضجُّ الفؤا
ونعُبُ منه كما نشاء	نمضي إليه فنستقي
رُبكم وقد عزَّ اللقاء	فاليومَ إذ شطَّ المزا
نِ فحسبنا قَطراتُ ماء!	ويخلتُم بُخلُ الضنيد

* * *

رة والحريصُ على اللواء؟!	أين الأمين على الإما
ن كما تُضيءُ لهم ذكاء	قبسُ أضواءِ العالمِ

ثم اختفى خلف الغيو ب خلفاً ظلم المساء
فكأنها هبة السما ء قد استردتها السماء!

* * *

جزع الرياض لطائر غنى فأبدع في الغناء
حتى إذا خلب العقو ل وقيل: سحر لا مرأء!
ولى عن الايك الفخو ربه إلى عرض الفضاء
فكأنه والسحب تطوبه فيمعن في الخفاء
ل قد استبد بها العفاء لذكرى كجرح ذي دماء!
وتسائل الدُّنيا التي ناطت به كل الرجاء
عن أي سرٍ طار عن هذي الرُّبى وعلام جاء؟
قُم يا فقيد الشعر وإن ظُر أي حفل للرثاء!
أمم يُصبرُ بعضها بعضاً، وهيهات العزاء!
هذي الجموع الباكيا تُساخطُ على القضاء
قاسمتها أشجانها ووفيت ما شاء الوفاء
أولم تجدك لسانها ال شاكى إذا احتدم البلاء؟
أولم تكن غريدها ونديهما عند الصفاء؟
لم لا توفيك الجمي ل وتستقل لك الفداء؟!

* * *

رِ قَدْ اسْتَمَّ لَهُ الشَّرَاءُ	وَمُنْعَمٍ بَيْنَ الْقَصُوفِ
مَ وَجِشُمُ الْقَلْبِ الْعَنَاءُ!	مَا بِأَلْهِ هَلْ الْهَمُّ
هُوَ عَنْ أَذَاهُ فِي غَنَاءٍ!	وَيَنْوُءُ بِالْعَبِيءِ الَّذِي
فَهُ مِنَ الثَّمَنِ الذُّكَاةُ!	وَيَحُ الذُّكَاةُ وَمَا يَكِلُ
مِنْ جِسْمِهِ إِلَّا ذِمَّةُ	أَضْنَى قَوَاهُ وَلَمْ يَدْعُ
يَا، رُوحَهُ وَالْمَجْدُ دَاءُ!	وَالْمَجْدُ يُوْغِلُ فِي حَنَا

* * *

حَمْلُهُ عَلَى الدُّنْيَا الْبَقَاءُ	صَرَخَ مِنَ الْأَدَبِ الصَّمِيءِ
وَالْفَنُّ فِي رُوحِ الْبِنَاءِ	الذُّهْرُ يَحْمِي رُكْنَهُ

* * *

دِ وَالْتَفُوقِ وَالْعِلَاءُ	(شوقي!) عَلَى رَغْمِ التَّفَرُّ
كُلُّ الرِّجَالِ بِهَا سُوءُ	ذَاكَ الرِّقَادُ بِسَاحَةِ
شَةِ حَوْلِ مُصْبَاحِ أَضَاءِ	وَبِرْغَمِ ذَهْنِ كَالْفِرَا
نَ وَلَا تَمَلُ مِنَ الثَّوَاءِ	مَثْوَاكَ لَا تَشْكُو السَّكُو

هجاء أعمى بغيض. زوج حسناء

يا جمال الصُّبا وأنس النفوسِ
خبرينا عن زوجك المنحوسِ!
حدّثي أنت عن عماه «الحيسي»
وصفي لي الغرام (بالتحسيسِ!)

* * *

حدثينا عن اللهب المفدّى
وجمالٍ يُضَيِّرُ الحرَّ عبدا
وجنون الأعمى إذا ما استجدى
وهو يعيشو لناره كالمجوسِ!

* * *

يا جمالاً في الترب يُلقَى ويُرَمَى
يا لَظلم الحظوظ والحظ أعمى!
وبلائي أني أسمىه ظلماً
وهو لفظ ما جاء في القاموس!

* * *

آه من قسوة الطبيعة شقت
ظلمةً في مكان نورٍ ورقّت
دون قصيدٍ لعينه فاستبقت
كوةً في فضائها المطموس!

* * *

كوةً تنفذ الحفيظة عنها
ويُطلُّ الدهاء والخبث منها!
طالعنا في طلعة لم تزنها
«كالفتيل» الحقيقِ في (الفانوس)

* * *

كذليل الابقار إذ ربطوه
وتراهم بخرقه عَصَبوه
فاذا ما عصاهم و ضربوه
وتمشَّى على غناء «الالوس»!

* * *

وتراه تقولُ يقطر بغضا
حيوانٌ يريد أن ينقضَّ
حسبك الله! عشت تنظر أرضا
فابق فيها! حُرمت نورَ الشموس!

الانتظار

(وقف الشاعر ينتظر تحت
العاصفة والظلام والبرد)

لعينيكِ احتملنا ما احتملنا
وبالحرمانِ والذلِّ ارتضينا
«وهان إذا عطفت ولو خيالاً
وأين خيالك المعبود أين؟!»

* * *

تعال! فلم يعد في الحي سارٍ
وهوَّمتِ المنازلُ بعد وهنٍ
نوران على نوافذها ظلامٌ
وقد كانت تطلُّ كآلف عينٍ

* * *

تعال! فقد رأيتُ الكون يحنو
عليّ ويدرك الكرب الملمأ
ويجلو لي النجوم فأزديها
وأغمض لا أريد سواك نجماً

* * *

ومنتظرٌ بأبصاري وسمعي
كما انتظرتك أيامي جميعاً
وهل كان الهوى إلا انتظاراً
شتائي فيك يتظر الربيعاً

* * *

أرى الأباد تغمرني كبحرٍ
سحيق الغور مجهول القرار
ويأتمر الظلام عليّ حتى
كأنني هابط أعماق غارٍ

* * *

وتصطبُّ العواصف ساخرات
وتطعنني بأطراف الحرابِ
وتشفق بعد ما تقسو فتمضي
لتقرع كل نافذةٍ وبابٍ

* * *

فصحت بها إلى أن جف حلقي
فحين سكّ كلمني إبائي
وأشعّني العذاب بعمق جرحي
وأعمق منه جرح الكبرياء

* * *

ولمّا لم تفز بقلّاك عيني
لمحتك آتياً بضمير قلبي
فأسمع وقع أقدام دوانٍ
وأنصت مصغياً لحفيف ثوبٍ

* * *

وأخلق مثلما أهوى خيالاً
وأستدني الأمانى والحبيبا
وأبدع مثلما أهوى حديثاً
لنأء صار من قلبي قريباً

* * *

أمدّ يديّ في لهف إليه
أشاكيه بمحتبس الدموع
فيسبقني إلى لقياه قلبي
وثوباً ثم يرد في ضلوعي

* * *

فتصطبّخ العواطف ساخرات
وتطعنني بأطراف الحرابِ
وتشفق بعد ما تقسو فتمضي
لتقرع كل نافذةٍ وبابٍ!

صلاة الحب

أحقاً كنت في قربي لعلي واهمٌ وهما
تكلم سيّد القلب وقل لي: لم يكن حُلماً

* * *

دنوت إليّ مستمعاً فُبُحْتُ، وفرطٌ ما بُحْتُ
بعادك والذي صنعاً وهجرُك والذي ذُقْتُ

* * *

وحبِّي! ويحه حبِّي تبيعك حيثما كنتَ
تكلم سيّد القلب وقل بالله ما أنت؟

* * *

أرى في عمق خاطركَ جلالاً يشبه البحرا

وَأَلْمَحْ فِي نَوَاطِرِكَ صَفَاءَ الرَّحْمَةِ الْكُبْرَى

* * *

وَأَنْتَ رَضِيٌّ وَتَقْبِيلُ وَأَنْتَ ضَنْيٌ وَحَرْمَانُ
وَفِي عَيْنِكَ تَقْتِيلُ وَفِي السَّمَاتِ غَفْرَانُ

* * *

وَأَنْتَ تَهَلَّلُ الْفَجْرِ وَيَسْمُتُهُ عَلَى الْأَفْقِ
وَحِيناً أَنْتَ النَّهْرِ وَحُزْنَ الشَّمْسِ فِي الْغَسَقِ

* * *

وَأَنْتَ حَرَارَةُ الشَّمْسِ وَأَنْتَ هِنَاءُ الظِّلِّ
وَأَنْتَ تَجَارِبُ الْأَمْسِ وَأَنْتَ بَرَاءَةُ الطِّفْلِ!

* * *

وَأَنْتَ الْحَسَنُ مَمْتَنَعَا تَحْدَى حَصْنَهُ النُّجْمَا
وَأَنْتَ الْخَيْرُ مَجْتَمَعَا وَعِنْدَكَ عَرْشُهُ الْأَسْمَى

* * *

وَعِنْدَكَ كُلُّ مَا أَظْمَأَ وَرَدَّ الْقَلْبَ لَهْفَانَا
وَعِنْدَكَ كُلُّ مَا أَدْمَى وَزَادَ الْجَرْحَ إِثْخَانَا

* * *

وَعِنْدَكَ كُلُّ مَا أَحْيَا وَشَدَّدَ عَزْمَهُ الْوَاهِي
حَنَانُكَ نَضْرَةَ الدُّنْيَا وَقَرُبُكَ نِعْمَةَ اللَّهِ!

* * *

وفيم هواجسِ القلب وفيم أطيل تسآلي
أحبك أقدسَ الحبِّ وجبك كنزِي الغالي

* * *

سناك صلاة أحلامي وهذا الركن محرابي
به ألقيت آلامي وفيه طرحت أوصابي

* * *

هوى كالسحر صيّرني أرى بقريحة الشهب
وطهّرنِي وبصّرنِي ومزّق مغلقَ الحجبِ!

* * *

سموت كأنما أمضي إلى ربّ يناديني
فلا قلبي من الأرض ولا جسدي من الطين!

* * *

سموت ودق إحساسي وجُزْتُ عوالم البشرِ
نسيت صفائر الناسِ غفرت إساءة القَدْرِ!

مصافحة اللقاء

أهاب بنا فلّبينَا	منادٍ ضمّ روحينا
كأنا إذ تصافحنا	تعانقنا بكفينا
كأن الحب تيار	سرى ما بين جسمينا!
يؤجج في نواظرنا	ويشعل في دمائنا!

مصافحة الوداع

يا أميري! أذف البید	نُوما زلت ضنینا
أصغ لي! وانظر ودع كف	ك في كفي حينا
آه من يملك هذي	والذي منها سقينا
عللتنا بالأمانی	فشرينا ظامئينا
ثم دارت بالمنايا	فوردنا طائعينا
آه من قاسية ریا	نہ ضعفاً ولینا
يا بناناً ساحراً قد حك	م الأقدار فینا
شفتي موتورة ظم	آنة جنت جنونا
وكان الآن كفي	حملت ثأراً دفيننا
تتمناك حبيساً	عندها العمر سجيننا

طائراً ألفى على را حتها وكرأ أمينا
وشعاعاً قدسياً هادي النور مبينا

أغنية في هيكل الحب

كم تجرّعنا هوانا	ولقينا في هوانا
وبلونا نار حب	لم نذق فيها أمانا
وإذا حلّ الهوى هـ	هات تدري كيف كانا
فإذا ما ملك الأنف	س أصلاها عوانا
فهو نصل مستقر	ولهيب لا يدانـى!
يا حبيبي هداً الليـ	ل ولم يسهر سوانا
لا الدجى ضمّد جرحـه	نا ولا الصبح شفانا
لا الهوى رقّ على الشاكي	ولا قاسيه لانا
قد غدونا غرض الرامي	كما شاء رمانا
وافني بالله نطرق	هيكل الحب كلانا
ساعة نبكي على الكأس	ونشكو من سقانا!

دعاء الراعي

عن الألمانية - من أغاني هينه
(قصيدة رمزية)

يا أيها الحملُ الوديعُ أنا الذي
يحنو عليك. أنا الحبيب الراعي
كم ليلة والرعبُ يمشي في الدجى
والهول منتشر على الأصقاع
أغفيت في كنفي وفي ظل الكرى
كالطفل في أمنٍ من الأوجاع
يا ربُّ! قد وهت العصا واستأثرت
غيرُ الليالي بالقويِّ الباع
يا ربُّ إن تك قد حكمتَ بفرقة
وأذنتَ للراعي بوشك زماع

فانظر إلى الحمل الوديع ووقه
شر النفوس وفتنة الأطماع
نضّر له الدنيا ومدّ ربيعها
وانشره مؤتلقا بكل شعاع
واجعل له الأيام ظلاً وارفاً
وخبرير أنهارٍ وخصب مراعي؟

التذكار

معربة عن الفرد

بي نزوع إلى الدموع الهوامي
غير أني أخاف من
أيهذا المكان! يا غالي التر
ب ومثوى عبادتي و
أنت مثوى الذكرى ومدفنها الغالي
القضي المجهول في

* * *

هذه خلوتي فلا تمنعوني
ما الذي تحذرون يا

انها عادتي التي كنت أعتاد
وأهوى في سالف الأزمان
أخذتني لذي الرحاب وقادت
قدمي في سبيل هذا المكان!

* * *

أنظروا هذه السفوح وهذا النب
ت إذ قام مزهراً تياها؟
لكأني ما زلتُ تسمع أذني
في صموت الرمال وقع خطاها
وكان النجوى بكل ممرٍ
طوقتني في ستره يمناها!

* * *

قد تراءى الصنوبر النضر إذ أيد
نع في قائمٍ من الألوان
وتراءى لي المضيّق البعيد الـ
غور يمتد في رخي المجاني
موحشات لكنما كن ألأفي
ومهد الهنيء من أزماني!

* * *

أنا ما ما جئت ها هنا أذكر الأشـ
حجان في موطن عرفت فيه هنائي
ذلك الغاب رائع الحسن والصمـ
ت مثال الجلال والكبرياء
وفؤادي عاتٍ كرائع هذا
الغاب مستكبر على البرحاء!

* * *

من يشأ أن يفيض يوماً بشكـ
واه فما هذا موضع الأحزان
قل لشاكٍ هلاً مضيت لتجثو
عند مشوى ميت من الخلان!
كل شيء حيُّ هنا ونبات القبر
ينمو في غير هذا المكان!
طلع البدر يرتقي ذروة الأفق
ويجتاز حالك الأسداد
يا أمير السخلام إنك تبدو
حائر الرأي، واضح الترداد
ثم تمضي مجاوزاً حجب الليل
وترمي بنورك الوقاد

* * *

كلّما شارف الثرى فيض نور
مرسل من جبينك الوضّاح
وإذ الأرض قد تضرع منها
عن ثراها النديّ عطر الصباح
استثارت عطر القديم من الحب
دفين العبير في الأرواح

* * *

أيهذا الوادي المحبب ما زرتك
حتى سألت عن أوصابي
أين راحت لواعجي أين آلامي
اللواتي أهرمتني في الشباب
عاودتني طفولتي فيك حتى
خلت أني ما اجتزتُ يوم عذاب!

* * *

يا خفاف السنين! يا صولة الدهر
قويّاً مثل الجبابر عاتي
كل ماضي صباة قد أخذتن
فمن مدمع ومن حشرات

ورحمتنْ لي أزهَر ذكرى
علقت في ذبولها بالحياة

* * *

فسلام مني على الأيام
كيف آست في النازلات الجسم
لم أكن أدري أن جرحاً بما
كابدت منه من فاتك الآلام
معقَّب لذة لنفسي
وإحساس هناء لديّ بعد التئام

* * *

فليين عني السخيف من الرأي
وتنأى سفساف الأقوال
وهموم كواذب كفت أثوابها
حب عاشقين ضال
جعلوها مظاهراً لهواهم
والهوى الحق ليس منهم ببال

* * *

ايه دانتني! أنت ذاك الذي قال
قديماً عن ذكريات الهناء:

انها إن مرّت على ذاكريها
زمن الحزن فهي أشقى الشقاء!
أي بؤسى أملت عليك مرير القول
حقاً أسأت للبأساء!

* * *

أو إن أقبل الدجى بعد ادبا
ر نهارٍ صافي الضياء قضيته
تنكر النور في الوجود فيغدو
محض وهمٍ كأنه ما رأيته
ذلك القول وهو جدّ عجيب
أيها الخالد الآسي كيف قلته

* * *

قسماً بالطهور من لهب الحب
مضيئاً في القلب شبه المنار
ما عهدنا في قلبك الوافر
الايمان هذا الضلال في الأفكار
لا أرى لهناء والله صدقاً
مثل صدق الهناء بالتذكار

* * *

أو إن أبصر الشقي وميضاً
في رماد الهوى فقام إليه
بأسطاً نحوه يديه بلهفٍ
حارصاً أن يمر من كفيه
وبه من اشعاعه أثر البرق
إذا مرّ خاطفاً ناظريه

* * *

أو إن غاصت روحه في عباب الذكريات التي طوتها السنين!
وعلى مرآة مجرّحة منها جرى دمه السخيّ الهتون!
أو هذا السرور من ذكر الماضي تسميه بالعذاب المبين!

* * *

ان تروا أدمعي فلا تزجروني
ودعوني اني أحب الدموعاً
لا تجفف ايديكم أدمعاً تنفع
قلباً لمّا يزل موجوعاً
أدمعي سترٌ مسبلٌ فوق ماضٍ
قد تولى ما يستطيع رجوعاً!

البحيرة

« معربة عن لامارتين »

من شاطئ لشواطئ جدد
يرمي بنا ليل من الأبد
ما مرّ منه مضي فلم يعد
هيهات مرسى يومه لغدا
سنة مضت! وختامها حانا
والدهر فرّق شملنا أبدا
ناج البحيرة وحدك الآن
واجلس بهذا الصخر منفردا

* * *

قل للبحيرة تذكيرين وقد
سكن المساء ونحن بالبح
لا صوت يسمع في الدنى لأحد
الا صدى المجداف والموج

* * *

فاذا بصوت غير معتاد
هزَّ السكون هتافه العذب
أصغى العباب ورجَّع الوادي
أصداءه وتناجت السحب

* * *

يا دهر في رفق ولا تدر:
ساعاته في هينة وقفى
حتى تناح هناءة العمر
وتطول لذتها لمقتطف

* * *

هلا التفَّتْ لذلك الكون
وعلمت كم في الناس من باكي
يدعوك خذني والأسى المضى
خل الممتع وامضٍ بالشاكي

* * *

هذا النعيم وهاته المحن
يتنافسان الدهر اقلاعا
فبأي عدل أيها الزمن
تتشابه الحلالان اسراعا

* * *

يا أيها الأبد السحيق أجب
وتكلمي يا هوة الماضي
ما تصنعان بأشهرٍ وحقبٍ
ونعيم عمر غير معتاض

* * *

ناج البحيرة والصخور وعدّ
فاستحلف الأغوار والغابا
قل! صُنْ ذكر غرامنا فلقد
صين الشباب عليك أحقابا

* * *

ولتبق يا هذي البحيرة في
حاليك ثائرة وهادئة
في باسق للماء منعطف
في رائعات الصخر نائمة

* * *

في عابر النسمات مرتجفاً
في النجم فضض صفحة الماء
في الريح أنّ أنينه وهفا
في الغصن نفّس حر أحشاء

* * *

في الجو معتبقاً برّياك
خطرت ملاعبة رقيق صبا
في كل هذا هاتفٌ باكي
سيقول يا أسفا لقد ذهبنا!

وداع المريض

(مهداة الى س...)

«مريضٌ عزيزٌ سهر الشاعر عند سريره
بِهِ، وكان وداعه في الصباح فكتب يودعه
بالقصيدة التالية»

فيم الغدوّ غداً وأَيْنَ رواحي
ويح الصباح! لقد مضى بصباحي
عصفت علينا غير راحمة لنا
يا صفوة الأحباب، أيّ رياح!
عبثت بمعبود العيون وصيّرت
كالورس لوناً توأم التفاح
ذهبوا به كالورد جافاه الندى
ومضوا به شبحاً من الأشباح
يا هاتفاً باسمي فديت منادياً
ردّ النداء عليه حرّ نواحي!

يا آسي الآسي لعمت جراحتي
 وأسلت يوم نواك أيّ جراح!
 طأطأت للبين المشتت هامتي
 وخفضت للقدر المغير جناحي!
 أيّ الليالي العاتيات سهرتها
 في أيّ آلام وأيّ كفاح!
 هدم الضنى العادي قوّي شكيمتي
 وثنى معاندتي وردّ جماحي!
 وطفى على الملك الموسد بيننا
 في لطف زنبقة وضعف أقاح!

* * *

كيف المآب إلى مكان موحش
 متجههم العرصات قفر الساح!
 في كل ناحية خيالاً هاتف
 ومذكر بجبينك الوضاح
 وموسد كالطيف صاحٍ ليله
 أمسيت أرعاه بجفني صاح!
 عاد الشقي إلى قديم شقائه
 ومحا من الدنيا السعادة ماحي

ويح الحياة اليوم أين جمالها
وعلامَ اخفاقي بها ونجاحي
أنت الذي وهب الحياة لميت
في الأرض منفرد بغير طماح
أشرقت في ظلماتها وغمامها
وطلعت مثل البارق اللماح!

فرحة جديدة

أدركت عندك يوميَ الموعودا
ولقيت فيك مثاليَ المنشودا
وافرحتي بك فرحةَ الطفل الذي
يلهو ويخلق كل يوم عيدا
وافرحتي بك فرحةَ الطير الذي
ملأ الروابي المصغيات نشيدا
طربت لصدحته وصفق ظافراً
جدلان في عرض الفضاء سعيدا
في موكب من قلبه وحيبه
من راح تحسبه العيون وحيدا

وافرحتي بك فرحة الضالّ الذي
 يطوي القفار اللافحات شريدا:
 لاحت له بعد الهواجر أيكة
 غناء تبسط ظلها الممدودا
 ما أعجب الدنيا التي بعث الهوى
 وأحالها روضاً أغرّ جديدا
 شتى غرائبها وأعجبها فتى
 يغدو لمهجته عليك حسودا
 يتهالكان على جمالك صبوة
 يتنافسان ضراعة وسجودا
 يتنازعانك غيرة وتغضباً
 كل يراك حبيب المعبودا
 ما أعجب الايمان يغمر خاطري
 كالفجر قد غمر السماء وثيدا
 مزقت شكي فاسترحك لأعين
 علمنني الايمان والتوحيداً

استقبال القمر

أقبل بموكبك الأغرُ ما أظمأ الأبصار لك!
العين بعدك يا قمرُ عمياء! والدنيا حلك

* * *

تمضي وراء سحابة تحنو عليك وتلثمك
وأنا رهين كآبة بخواطري أتوهمك!

* * *

كن حيث شئت فما أنا إلا معني بالمحال
أغدو لقدسك بالمني وأزور عرشك بالخيال!

* * *

وأقول صبراً كلماً عزّ الفكاك على الأسير

روحي وروحك ربما طابا عناقاً في الأثير

* * *

مهما تسامى موضعك وعلا مكانك في الوجود
فأنا خيالك أتبعك ظمآن أرشف ما تجود

* * *

قمر الأماني يا قمر إنني بهم مسقم
أنت الشفاء المدخر فاسكب ضياءك في دمي

* * *

أفرغ خلودك في الشباب واخلع على قلبي الصفاء
أسفاً لعمر كالجباب والكأس فائضة شقاء

* * *

خذني اليك ونجني مما أعاني في الثرى
قدحي ترنق فاسقني قدح الشعاع مطهراً

* * *

واهاً لأحلام طوال وأنا وأنت بمعزل
نعلو على قمم الجبال ونرى العوالم من عل

نفرتي الجديدة

(إلى ممثلة فنانة)

لِمَنْ هاته الفتنة النادرة!
وما هاته الأعينُ الساحرة؟
وما ذلك المَرَحُ القدسي؟
وما هاته الضحكة الطاهرة
تطوف مطاف الحنان العميم
وتسقط كالنعمة الوافرة
وتمتدُّ مثل امتداد العباب
وترجع كالموجة الساخرة
وتنقش أصداءها في القلوب
وتبقى مدى العمر في الذاكرة

فِيا رِقَّةً سَكَبَتْ فِي النَفُوسِ
 كَمَا تُسَكَّبُ الْخَمْرَةُ الْقَاهِرَةُ
 نَسِينَا بِكَ الْعَالَمَ الدُّنْيَوِيَّ
 وَأَسْمَعْتِنَا نَغْمَ الْآخِرَةِ
 يَا رَبَّةً مِنْ نَوَاحِي الْأَلَمِ
 أَطَلَّتْ عَلَى مَهْجٍ شَاعِرِهِ
 حَنِينَا الرُّؤُوسَ لِمَجْدِ الْجَمَالِ
 وَلُذْنَا بِعَرْشِكَ يَا أَسْرَةٍ
 (....) مَثَلْتِ هَذِي الْحَيَاةَ
 وَصَوَّرْتِ أَدْوَارَهَا الزَّاخِرَةَ
 وَحَمَلْتِ رَوْحَكَ أَثْقَالَهَا
 وَرَوْحَكَ كَالرِّيشَةِ الطَّائِرَةِ
 وَكَلَّفْتِ قَلْبِكَ خَوْضَ الْجَحِيمِ
 وَقَلْبِكَ كَالْجَنَّةِ النَّاظِرَةِ
 دَفَعْتَ بِهِ فِي اللَّظَى كَالْخَلِيلِ
 وَعَدْتِ مَبَارَكَةَ ظَافِرِهِ
 رَجَعْتَ مِنَ النَّارِ يَاقُوتَةً
 مَطْهَرَةً حُرَّةً بَاهِرَةً
 (....) إِنْ كَرَّمْتِكِ الْبِلَادُ
 وَدَانَتْ لِمَعْبُودَةٍ قَادِرَةٍ

فوالله ما فهمتك العقولُ
ولا قدرت قدرك «القاهرة» !
فللشعر عينٌ يراك بها
بغير عيون الورى الناظرة
يرى لك حُسن الشعاع الجميل
أغار على الظلمة الغامرة
فجللٌ بالسحر هذي الدُنى
وصيَّرها جنة زاهرة
فنور أكوأخها الباليات
وهللٌ في دورها العامرة
رسولٌ يجوس خلال الديار
وينزل كالرحمة الزائرة
بعين قد اغرورقت بالدموع
لها مُقلَّة الغيمة الماطرة
يطوف على الناس إنسانها
ومهجته للورى غافرة

الفراشة

أجل! يعلم الحبُّ أنني لظاهُ
وتدري الفراشة أنني اللهبُ
وأنني بدوتُ لها في الظلام
فرقتُ بأجنحةٍ تضطربُ
وبين ذراعيَّ سرُّ الحياة
وفي ناظريَّ بريقُ الشُّهبِ
دنت خطوة ثم عادت إلي
مجاهلها من خفيَّ الحُجبِ
وشتان بين السنا والظلام
لعابدةٍ للسنا عن كثبٍ!

وفي صدرها لهفة للعناق
وفي قلبها جنّة المغترّب
يلوح لها شبحٌ للعذاب
ويبدو لها الأبد المقترب
كأنّ اللظى قدحٌ من سلافٍ
لها فوقه وثباتُ الحبّ
فراشةٌ روعي تعاليّ وثوباً
ستلقين قلباً إليك يثب
إذا ما امتزجنا احترقنا معاً
ونلنا الخلود بهذا العطّب!!

الى س . . .

جئتُ أشكو لكِ روحي وجواها
وردت ظمأى وعادت بصداها
آه من عينكِ! ماذا صنعتُ
بغريبٍ مستجيرٍ بحماها؟
تبعته نقتفي أحلامه
كلما أغفى أطلتُ فرآها
يا سقى الله «ليلي» أيكه
وجزاها الخيرَ عنا ورعاها
وغذاها من أمانينا ومن
حبنا الشهدَ المصفى وسقاها

قَرَّبِي عَيْنِكَ مِنِّي قَرَّبِي!
ظَلَّلْنِي وَاغْمِرْنِي بِصَفَاهَا!
وَأَرِنِي هِدَاةَ الْبَحْرِ إِذَا انْ
بَسَطَ الْبَحْرُ جَلَالاً وَتَنَاهَى
وَأَرِنِي لَجَّةَ السَّحَرِ الَّتِي
ضَلُّ فِي أَعْمَاقِهَا الْفِكْرُ وَتَاهَا
الْمَحْ اللُّؤْلُؤُ فِي أَغْوَارِهَا
وَأَرِ الْطَيِّبَةَ تَطْفُو فِي سِنَاهَا
وَأَرَاهَا تَخْبَأُ الْخِلْدَ لِمَنْ
بَاعَ دُنْيَاهُ وَبِالرُّوحِ اشْتَرَاهَا!

* * *

نَحْنُ أَرْوَاحُ حَيَارَى افْتَرَقَتْ
ثُمَّ عَادَتْ فِتْلَاقَتْ فِي شَجَاهَا
سَوْفَ يَنْسَى الْقَلْبُ إِلَّا سَاعَةً
مِنْ رِضَا فِي وَكْرِكَ الْحَانِي قَضَاهَا
هَتَفَ الْقَلْبُ وَقَدْ حَدَّثَنِي
أَيَّ مَاضٍ كَشَفْتَ لِي شَفَتَاهَا
هَمَسَتْ فِي خَاطِرِي فَاسْتَيْقِظْتُ
رُوحِي الْخَيْرَى وَأَصْغَتْ لِنَدَاهَا

فأننا إن لم أكن توأمها
 فكأنني كنت في الغيب أخاها
 نحن أرواح حيارى ثملت
 وانتشت سكرى على لحن أساها
 قربي روحك مني قربي!
 ظلليني واغمريني برضاها!
 وتعالني حدثيني! حدثني!
 انت مرآة شجوني وصداها
 فهبيني ساعة الصفو التي
 تقسم الأيام ما فيها سواها
 ثم أمضي لحياة مرة
 صبحها عندي سواء ومساها!

نداء للشباب

وطنٌ دعا وفتى أجاب
يا فتية النيل المسا
جناته مرآتكم
ولكم جمال الزهرِ رفَّ
ولكم فؤاد النهرِ رق
يمضي فيضحك للسهر
حتى إذا نادتكم الأ
حتى إذا طغت الكوا
أصبحتم كالغيل تح
قل للشباب اليوم يو
بوركت يا عزم الشباب
لم والكريم بلا حساب
ولكم خلائقها العذاب
على الأماليد الرطاب
على المحاني والشعاب
ل ولا يضمن على الهضاب
وطان والوادي أهاب
رث واستفزكم العذاب
ميه الليوث بألف ناب
مكم الأغر المستطاب

اليوم يبدو حبّ مصد
إن كان اثمًا يا شبا
الله ينظر والليا
والعهد في القلب المصا
هاتوا الفدا الغالي لمصد
المال، والأرواح كل
ر فلا خفاء ولا حجاب!
بُ فلا رجوع ولا متاب!
لي عندها لكم الحساب
بر والأمانة في الرقاب
ر وأرخصوه كالتراب
ضحيةٍ ولها ثواب

في يوم الشباب

اليوم يومك في الشباب فناد
لا نوم بعد. ولا شهيق رقاد
قل للذي ينبغي الصلاح لقومه
بنيل صنع أو شريف جهاد
بالطب أو بالشعر أو بكليهما
كل الجهود فداء هذا الوادي!
لا خير في قلم إذا هو لم يكن
حرّاً طهوراً كالشعاع الهادي
لا خير في طب إذا هو لم يزر
ظلم الحياة كفرحة الأعياد

يا أيها الوطن الجريح وجرحه
 بصميم كل حشاشة وفؤاد
 صبراً فنحن أساتك الرحماء في الـ
 بأساء قد جئنا بكل ضماد
 قل للبناء المصلحين ألا اخلقوا
 شم الذرى ورواسخ الأطواد
 جيلاً من النشء القوي إذا مشوا
 رفعوا الرؤوس بعزة وعناد
 لا خير في الأرواح تسكن منزلاً
 متهدماً رثاً من الأجساد
 لا خير في الأرواح تسكن موطناً
 متخاذلاً لا يرتجى لجلاد
 أبكت عيونكم الضعيف يصير في
 ناب القوى فريسة استعباد
 فتبينوا اذن الحقيقة واعلموا
 ان الطبيعة هكذا من عاد
 الجو ملك النسر يغشاه على
 ما يشتهي والغاب للأساد
 مهلاً بني قومي أتيت مذكراً
 في ساحة مجموعة الاشهاد

واخرجلتا مما نقدمه إذا
 حان الحساب وجاء يوم معاد
 أيّ الصحائف في غد وحسابكم
 في ذمة الأبناء والأحفاد
 أيّ البلاد هو السعيد وأهله
 يتنابدون تنابذ الأضداد
 كل يعيش لنفسه في أمة
 شقيت بطول تفرق الأفراد
 فخذوا السبيل إلى الحياة تآلفاً
 وتكاتفاً في رغبة ووداد
 خير الصحائف ما كتبت سطره
 بيد الكفاح الحر لا بمداد
 صونوا البلاد وأدركوا فلاحكم
 كاد الحمى يغدو بغير عماد
 حيران من مرضٍ إلى بؤس إلى
 كربٍ تمر به بلا تعداد
 هذي دياركم وذلك نيلكم
 هبة السماء ومنحة الأباد
 هذي دياركم وهذي شمسكم
 طمع الغريب وحرقة الحساد

ومن المصائب في زمانك أن ترى
بلداً كثير مناهل الروادِ
والخير مدرار عليه وربه
جوعان محروم الرعاية صادِا
والزرع نضر في الحقول وأهله
يتهيأون لمنجل الحصادِ! ...
هذا زمانكم وذا ميدانكم
ماذا بكم من عدة وعنادِ! ...
نبغي شداد القوم قد شحدوا القوى
في ليل احداث نزلن شدادِ
ونريد شبانا بمصر استعصموا
ومضوا يصدون الغريب العادي
ونريد أطفالاً اذا ما أرضعوا
فرضاعهم وطنية بسهادِ
الطفل منهم مثل أمي أو أبي
شفتاه أول ما تقول بلادي! ...
يُغذون في الارحام حب بلادهم
لتكون مصرأ صرخة الميلادِ!

إلى روح الشاعر

أُلقيت في حفلة الذكرى للشاعر المرحوم
طانيوس عبده بمعهد الموسيقى الشرقي يوم-
الثلاثاء ٢٠ فبراير سنة ١٩٣٤ .

موقفٌ حانَ فاغتنمُ	وتخير من الكلم
كلُّ لفظٍ أرقُّ مِن	ضحكة الزهر للديم
مستمَدٍّ من الربى	مُستعارٍ من التسم
اجمع الآنَ طاقةً	غضة النور تبتسم
أهديها روحَ شاعرٍ	خالدٍ بالذي نظم

* * *

قلمي! ما الذي لدي	كُ من الخير يا قلم؟!
قم فذكر وناج قو	مك واخطب وقل لهم:
قل لأهل الغناء في	كنف المعهد الأشم
ذلك الشاعرُ الذي	بات في خاطر الظلم

هو منكم وفنُّه	علم الله فنكم
كان لحناً فصار ذك	راً كما يُذكرُ الحُلمُ
انما الشعر مزهرُ	قد حكى قصة الأمم
وبأوتاره المني	تتلاقى وتزدحمُ
هو نايٌ مُرجَّعُ	لشجيٍّ وما كتمُ
هو قيثارَةُ الزما	نِ ونجواه مِن قِدمُ
هو أنشودة الحيا	ةٍ وفيضُ من النغمُ

* * *

أيها المعهد الذي	بلغ المجدَ واستتمَّ
كلُّ لحنٍ مذكرٍ	أشعل القلب فاضطرمَّ
نظمته يدُ الأسى	وقَعته يدُ السقمُ
وأناشيدكم وما	صاغه الفنُّ من عِظمُ
هي أنات أنفسٍ	بالمقاديرِ ترتطمُ
وصباباتُ أعينٍ	يشهد الليلُ لَم تنمُ
وأغانيكُم التي	هي في قمةِ القممُ
هي آهات شاعرٍ	عرف الحبُّ والألمُ!

* * *

ذلك الشاعرُ الذي	روحُه الآن بينكم
لكأنني أراه حَـ	ياً واللقاءُ عن أَمَمُ
وهو في ذروة الشبا	ب وفي خفةِ القَدَمُ

غاشياً كلَّ منتدى	عاليَ الرأسِ محترماً
كلما قال شعره	غمر السهل والعلم
دافقاً ليس ينتهي	أبدأ سيله العزم
باذلاً للصديق والأهـ	ل كل الذي غنم

* * *

زوجه والبنون هم	مجده والرجاء هم
درجوا في ذرا العلا	نوروا في ربي النعم
نشأوا في حمى العفا	ف وجلوا عن التهم

* * *

حين ظنوا بأن ما	أملوا في الزمان تم
إذ شكا الضعف سيد الـ	بيت خارت به الهمم
نام في حضنه الضنى	وعلى صدره جثم
وإذا بالطيور قد	دخل الموت وكرهم
شبه لص مخادع	غشى البيت فالتهم
وإذا الفاقة الجريد	ئة تطفئ وتنتقم
صنعت في رجائهم	فعلة الذئب بالغنم
كأتون مسعر	غاضب ينثر الحمم
من رأى البؤس إن عدا	من رأى الضنك إن هجم
من رأى العفة العريد	قة بالدهر تصطدم

* * *

فَنُ فِي أمة الشُّمَمُ	أُمْتِي! لَيْسَ يُهْزَمُ الـ
جُودُ فِي أمة الكَرَمُ	أُمْتِي! لَيْسَ يَخْلُدُ الـ
وَأَبِي الهول والهرَمُ	أُمْتِي! أمة العلا

ساعة التذكار

ألقيت في حفلة الذكرى التي أقامتها جماعة
الأدب المصري باسكندرية لمرور عام على
وفاة المرحوم أحمد شوقي بك.

شَجْنُ على شَجْنٍ وحرقةُ نارِ
مَنْ مُسْعِدِي في ساعةِ التذكارِ
قُمْ يا أميرًا أفض عليَّ خواطراً
وابعث خيالك في النسيم الساري
واطلع كعهديك في الحياة فراشةً
غراء حائمةً على الأنوارِ
يا عاشقَ الحرية الثكلي أفق
واهتف بشعرك في شباب الدارِ
يا مَنْ دعا للحق في أوطانه
ومضى ليهتف في ديار الجارِ

الشامُ جازعةٌ ومصرُ كعهدها
نهبُ الخطوب قليلة الأنصارِ
والحظُّ أطمأّرُ كما شاء البلى
والعيشُ رثٌ والسنونُ عوارِ

* * *

عامٌ مضى يا للزمان وطّيه
فينا وبنا لسواخر الأقدارِ
عامٌ مضى وكأنَّ أمس نعيه
يا ما أقلَّ العام في الأعمارِ
أئنّ الامارة والأميرُ ودولةٌ
مبسوطةُ السلطان في الأمصارِ
خمسون عاماً وهي وارفَةُ الجنى
تحت الربيع دؤوبة الاثمارِ
مدّ الخريفُ على الرياض رواقهُ
ومضى الربيعُ الضاحكُ النوارِ

* * *

هيهات أنسى قبل بينك ساعةً
جمعتُ صحابك في غروب نهار^(١)

(١) يشير الى اجتماع مجلس (جمعية ابولو) في كرمة ابن هاني في يوم ١٠ أكتوبر سنة

١٩٣٣

والشمس في سقم الغروب وأنت في
لون الشحوب معصفراً بيهار
منحت وقد ذهبت شعاعاً غارباً
كسناك طوّافاً على السّمار
تشكو لي الضعف الملمّ لعلّ في
طبي مقيلاً من وشيكِ عثار
وكشفت عن متهدّم جال الردى
متهجماً في صرحه المنهار
فرايتُ ما صنع الضنى في صورة
حالك، وخلي هيكلاً كإطار
ووجمتُ، المحّ في الغيوب نهايةً
وأرى بعيني غاية المضمار
وأرى النبوغ وقد تهاوى نجمه
والعبقريّة وهي في الإدبار
أو لم يكن لك من زمانك ذائداً
وثبات ذهنٍ ماردٍ جبار؟
أو لم يكن لك من حمامك عاصماً
ذاك الجبين مكدلاً بالغار؟
وليئتُ في إثر الذين رثيتهم
واقمتُ فيهم مأتم الأشعار

وسُقِيَتْ من كأسٍ تطوف بها يدُ
محتومة الاقداح والأدوارِ
والدهرُ يقذف بالمنايا دفقاً
فمضيتُ في متدفق التيارِ
* * *

في ذمة الاجيالِ ما غُنَّت به
قيثارةُ سحريةِ الاوتارِ
صدحتُ بالحنانِ الحياةَ ووقعتُ
أنغامها المحجوبةَ الأسرارِ
والفنُّ ما حاكى الطبيعةَ آخذاً
منها ومن إعجازها بغيرِ
مسترسلاً رحباً كعينِ ثرّةٍ
شتى السيولِ سحيقةِ الأغوارِ
متعالياً حتى الأشعة مشرقاً
متألقاً كالكوكب السيارِ
* * *

شوقي! نظمت فكنت برّاً خيراً
في أمة ظمأى الى الأخيارِ
أرسلت شعرك في المدائن هادياً
شبه المنار يطوف بالأقطارِ

تدعو الى المجد القديم وغابر
 طيَّ القرون مجلَّل بوقارِ
 تدعو لمجد الشرق: تجعل حبه
 نصبَ القلوب وقبلةَ الأنظارِ!
 تبكي العراقَ اذا استبيح ولا تضرنَّ
 على الشَّام بمدمع مدرارِ
 وترى الرجالَ وقد أُهين ذمارهم
 خرجوا لصون كرامة وذمارِ
 فلو استطعتَ مددتَ بين صفوفهم
 كفّاً مضرجةً مع الاحرارِ

* * *

ما زلتَ تبعث في قريضك ثاوياً
 أو ماضياً خفلاً بكلِّ فخارِ
 حتى اتهمتَ فقال قومٌ: شاعرٌ
 ناجى الطلولَ وطاف بالآثارِ
 فجلوتَ ما لم يشهدوا، ورسمتَ ما
 لم يعهدوا من معجز الافكارِ!
 شيخٌ يدبُّ الى الأصيل وقلبه
 وجنانهُ في نضرة الأسحارِ

ويحسُّ تبريحَ الصبابة واصفاً
مجنونَ ليلَى في سحيق قفسارِ
ويروح يبعث كليوباترا ناشراً
تلك العصور وطيفها المتواري!
ويرى الحياة الحبَّ والحبَّ الحيا
ة! هما شعارُ العيش أيُّ شعارِ

دين الأحياء

ألقيت في حفلة مسرح رمسيس بالقاهرة للذكرى
العام الأول على وفاة المرحوم أحمد شوقي.

دينٌ... وهذا اليومُ يومُ وفاءٍ
كم مثنيٌ للميت في الأحياء!
إن لم يكن يُجزى الجزاءَ جميعه
فلعلّ في التذكار بعض جزاءٍ
يا ساكنَ الصحراء منفرداً بها
مستوحشاً في غربّةٍ وتنائي
هل كنت قبلاً تستشفّ سكونها
وترى مقامك في العراء النائي
فأتيث - والدنيا سرابٌ كلها -
تروي حديثَ الحبّ في الصحراءِ

ووصفت قيساً في شديد بلائه
ظمآن يطلب قطرةً من ماءٍ
ظمآن حين الماء ليلي وحدها
عزّت عليه ولم تُتح لظماءٍ!
هيمن يضرب في الهواجر حالماً
بظلال تلك الجنة الفيحاء
فاذا غفا فلطيفها، وإذا هفا
فلوجهها المستعذب الوضأ
يا للقلوب لقصةٍ بقيت على
قدم الدهور جديدةً الأنبياء
هي قصة الطيف الحزين، وصورة الـ
قلب الطعين، مجللاً بدماءٍ
هي قصة الدنيا، وكم من آدم
منا له دمعٌ على حواءٍ
كل به قيس إذا جنّ الدجى
نزع الإباء وباح بالبرحاء
فاذا تداركه النهار طوى المدا
مع في الفؤاد وظنّ في السعداء
لا تعلم الدنيا بما في قلبه
من لوعةٍ ومرارةٍ وشقاءٍ

كُلُّ لَهُ «لَيْلَى» وَمَنْ لَمْ يَلْقَها
 فحِياتِه عِبْتُ وَمَحْضُ هَباءِ
 كُلُّ لَهُ «لَيْلَى» يَرى فِي جِها
 سِرَّ الدُّنْى وَحَقِيقَةَ الْأَشْياءِ
 وَيَرى الْأَماني فِي سَعيرِ غرامِها
 وَيَرى السَّعادَةَ فِي أتمِّ شقاءِ
 الْكونُ فِي احسانِها وَالْعمرُ عَدِ
 دِ حنانِها، وَالْخُلْدُ يَوْمُ لِقائِ
 يا لِلْقُلُوبِ لِقِصَّةٍ مَحْزُونَةٍ
 لَمْ تُرَوْ إِلَّا رُوحَتْ بِبِكاِ
 خَلَدَتْ عَلَى الدُّنْيا وَزادَتْ رِوعَةً
 مِمَّا كساها سَيْدُ الشَّعْراءِ
 خَلَدَتْ عَلَى الدُّنْيا وَزادَتْ رِوعَةً
 مِنْ جِودَةِ التَّمثِيلِ وَالْإِلْقائِ
 مِنْ فَنِّ (زَيْنِها) وَمِنْ (عَلَّامِها)
 زَيْنُ الشَّبابِ وَقِدْوَةُ النِّبْغاءِ

الأجنحة المحترقة

يا أمتي كم دموع في مآقينا
نبكي شهيدك أم نبكي أمانينا؟!
يا أمتي إن بكينا اليوم معذرةً
في الضعف بعض المآسي فوق أيدينا
واهماً على السرب مختالاً بموكبه
وللنسر على الأوكار غاديننا
قالوا الضباب فلم يعباً جبابرة
لا يدركون العلا إلا مضحيننا
«والمانش» يعجب منهم حينما طلعا
على غواربه الحيرى مطلقينا

فاستقبلتهم فرنسا في بشاشتها
 تجزي البسالة ورداً أو رياحينا
 قالوا النسور فهبّ القوم وأذكروا
 نسرأ لهم ملاً الدنيا مياديننا
 وهلل «السين» إذ هلّت طلائعنا
 طلائع المجد من أبناء واديننا
 حان الأمان ووافى السرب فافتقدوا
 نسرين ظنوهما قد أبطأ حيننا
 لكنه كان إبطاء الردى فهما
 لما دعا المجد قد خفاً ملبيننا
 فليك من شاء وليشبع محاجره
 وليتحب ما يشاء الحزن باكيننا
 يبكي الحبيب وتبكي فقد واحدها
 من لا ترى بعده دنيا ولا ديننا
 هُنيهة ثم يسلو الدمع ساكبه
 لا يدفع الدمع شيئاً من عوادينا
 فكلما حلّ رزء صاح صائحنا:
 فداك يا مصر لا زلنا قرايينا
 فداك يا مصر هذا النجم منطفئاً
 والنسر محترقاً والليث مطعوناً!

عتاب

هَجَرْتِ فَلَمْ نَجِدْ ظِلًّا يَقِينَا
أَحْلُمًا كَانَ عَطْفُكَ أَمْ يَقِينَا؟
أَهْجَرًا فِي الصَّبَابَةِ بَعْدَ هَجْرِ
أَرَى أَيَّامَهُ لَا يَنْتَهِينَا
لَقَدْ أَسْرَفْتَ فِيهِ وَجُرْتَ حَتَّى
عَلَى الرَّمَقِ الَّذِي أَبْقَيْتَ فِينَا
كَأَنَّ قُلُوبَنَا خُلِقَتْ لِأَمْرِ
فَمَذَّ أَبْصَرْنَا مِنْ نَهْوَى نَسِينَا
شُغِلْنَا عَنْ الْحَيَاةِ وَنَمْنًا عَنْهَا
وَيَتَنَ بِمَنْ نَحْبُ مَوَكِّلِنَا

فإن مُلِئت عروق من دماءٍ
فإننا قد ملأناها حينئذ!

أصوات الوحدة

يا وحدتي جئت كي أنسى وهاءنذا
ما زلت أسمع أصداء وأصواتا
مهما تصاممتُ عنها فهي هاتفة
يا أيها الهاربُ المسكينُ هيهاتاً!
جرّت عليّ الاماني مِنْ مجاهلها
وجمعتُ ذِكْراً قد كُنْ أشتاتاً
ما أسخف الوحدةَ الكبرى وأضيعها
إذا الهواتف قد أرجعن ما فاتا
بعثن ما كان مطوياً بمسرقده
ولم يزلن إلى أن هبَّ ما ماتا

تَلَقَّتْ الْقَلْبُ مَطْعُوناً لَوْحِدَتِهِ
واین وحدته؟ باتت كما باتا!
حتى إذا لم يجد رِيّاً ولا شعباً
أفضى إلى الأمل المعطوب فافتاتا!

(من شعر الصبا) الختم

عجباً لقلبٍ هيض منك جناحهُ
وجرى به نصلُ الندامة يذبُحُ
ومضى الحمامُ يدبُ فيه فإن جرتُ
ذكراك طار اليك وهو مجئُح
لهفي على الناقوس بين جوانحي
وعلى بقية هيكَل لا تصلح
لا فرق بين أنينه ورنينه
وصداه في وادي المنية أوضح
يا قلب! صهبا الهوى ويساطه
وكؤوسه المتجاويات الصُّدُح

وقف على متقلبين على الهوى
 يغنون من لذاته ما يسبح
 متبدلين موائد وأحبة
 ما خاب من حب فأخر يفلح
 فالحب آسبه وراء عليه
 فيهم، ويلسمه على ما يجرح
 يا قلباً وريح ثباتنا ماذا جنى
 أترى شعاعاً في البقية يلمح!

* * *

يا أيها الحب المقدس هيكلًا
 ذاق الردى من عابديك مسبح
 كشرت ضحاياه وطال قيامه
 وصيامه فمتى رضائك تمنح؟
 يا دوحة الأرواح يُحمد عندها
 فيء ويعبد زهرها المتفتح
 أينال ظلك والرعاية عابث
 بجلالك البادي وآخر يمزح
 ويبت يحرمه قتيل صباية
 قضى الحياة الى ظلالك يطمح

ليلي! حبيبتك كالحياة وذقتُ في
ناديك كأساً بالأمانى تطفح
فتكسرت قلدح المنى ورجعت من
سقم الهوى وهزاله أترنح
نزل الستار على الرواية وانقضت
تلك الفصول وفُضَّ ذاك المسرح

الدكتور زكي مبارك

في سنتريس وفي الازهر وفي باريس (ألقيت
في حفلة تكريمه بمسرح الهمبرا بالقاهرة)

نحت عين الصباح والأنوارِ
ورقيق الأنداء والأسحارِ
في حمى سنتريس شبُّ غلامٍ
شاعريُّ الكلامِ والأنظارِ
أزرق العين هادئ هداة البح
ر بعيد الرضى! بعيد القرارِ!
ساهم يلمح السحائب في الأف
ق بعين عميقة الأغوارِ

* * *

شُبَّ في جيرة النسائم والزهر
 ر وفي صحبة الغدير الجاري
 ونضيرِ الحقول والعشب المخضَّلُ
 يكسو شواطئ الأنهارِ
 ومصيخاً إلى غناء السواقي
 شاكياتٍ سواخرَ الأقدارِ
 باكياتٍ على الصبا والأمانِ
 والهوى والنوى وبعدِ المزارِ
 غير أن الذي شكاه خطبه الأهـ
 لُ وأمسى حديثَ جارٍ وجارِ
 أن ذاك الفتى الوديعَ الطهورَ الـ
 قلب في رقة النسيم الساري:
 مغرمٌ بالعصا! فلو خلف سورِ
 لتخطى شواهِق الأسوارِ
 ولأجل العصا سطا على الافرع الخضـ
 راء زانت بواسق الأشجارِ
 ولأجل العصا سطا على خشب اليـ
 ت، طموحاً حتى إلباب الدارِ
 ولو أن العصيَّ عزَّت عليه
 لتمنَّى حتى عصا التسيارِ
 * * *

ان تلك العصا لرمز على القو
 ة في قلب مارِدِ جَبَّارِ
 لا يرى القرية الصغيرة كفوّاً
 لكبار الآمال والأوطارِ
 ساخرّاً من هدوئها مستعدّاً
 لصراع الخطوب والأخطارِ
 أين يمضي؟ للأزهر الشامخ الرأ
 س، القويّ الباقي على الأدهارِ
 مطلع عبده وسعداً ورهط الـ
 مجد والبأس والعلی والفخارِ

* * *

فرح الأهل بالغلام الذي صا
 ر حديثاً في ندوة السُّمارِ
 عمّوه وقفطنوه فأمسى
 أمل القوم، فارس المضمّارِ
 ومضى يطلب العلم وحيداً
 موحشاً قلبه، غريب الدارِ
 ناظراً في هوامشٍ تأكل العقد
 ل وتبلي نواضر الأبصارِ

لا ييالي الطوى ولا يحفل الأقدار
 ر جاءت بكل أمر ضاري
 لا ييالي غداة يصغي الى الشـ
 خ وللشيخ هالة من وقار:
 أحصير ممزق أم حرير
 مقعد للمجاهد الصبار
 آه من هاته الشدائد فهي الد
 ار تبلو القلوب في الأخيار
 إن قلب العظيم ياقوتة تس
 مو سموأ وتزدهي بالنار
 أي شيء في الدهر كالآلم الجبا
 ر يجلو ضمائر الأحرار؟!

* * *

عجبي من «مجاور» ضاق بالأز
 هر واحيرة النفوس الكبار
 ثم أمسى مطربشاً واكتسى البذ
 لة ما بين ليلة ونهار
 ثم ضاقت بهمه مصر فاشتا
 ق لغير الأوطان في الأمصار

ضمّ أشياءه اليه، وأضحى
 في سفين تجوب عرض البحارِ
 ثم أمسى مبرنطاً يقصد السيد
 من ويغزو مدينة الأنوارِ

* * *

والذي يبعث السرور ويدعو
 كلّ نفس للزهو والإكبارِ
 رجلٌ ما ازدهته فتنةٌ بارية
 س وما في باريس من أسرارِ
 ظلّ في ذلك الحمى مصرياً
 عربيّ الحياة والأفكارِ
 كلما هبّت الغواني عليه
 ضاق ذرعاً بالغادة المعطارِ
 يزفر الزفرة العنيفة ترمي
 من لظاها فحم الدُّجى بشارِ
 يذكر النيل، والأحبة بالنيد
 ل ويشدو برائع الأشعارِ!
 كرّموا نابغكمو واعرفوهم
 فضياع النبوغ في الإنكارِ

فزكَيِّ مباركُ شعلة في
مصر تهدي شبابها كالمنارِ
قسماً لو يُتاح لي الغارُ كلد
ت بكفي جبينُه بالغارِ!

على البحر

(من شعر الصبّا قاله الناظم في الثالثة عشرة
من عمره)

يا غاية القلب الحزين	هل أنتِ سامعةٌ أنيني
وكعبة الأمل الدفين	يا قبلة الحب الخفي
والأفق مُغْبَر الجبين	إني ذكرتك باكياً
رب شبه دامعة العيون	والشمس تبدو وهي تغدو
صخر وموج البحر دوني	أمسيت أرقبها على
ب يهيج ثائره جنوني	والبحر مجنون العبا
فاذا غضبتِ فَمَنْ يقيني!	ورضاكِ أنتِ وقايتي

كلانا

(من شعر الصبا)

كلانا عليل فلا تجزعي	ودمعك تسبقه أدمعي
وان كان بين ضلوعك نار	فنار الصبابة في أضلعي
وان كان نجم هنائك غاب	فنجم هنائي لم يطلع...

المحتويات

الصفحة

٥	الاهداء
٧	المآب
١٠	ساعة لقاء
١٤	العودة
١٨	الحنين
٢٠	النائي المحترق
٢٢	المسي
٢٤	تحليل قبله
٢٦	الحياة
٣٢	قلب راقصة
٤٢	الميعاد
٤٥	الميت الحي
٤٧	الوداع
٥١	الزائر
٥٣	الليالي
٦٢	الجمال الضنين
٦٤	ليالي الأرق
٦٧	صخرة الملتقى
٧٠	المشك
٧٣	خواطر الغروب
٧٦	مناجاة المهاجر
٧٨	النصورة
٧٩	رجوع الغريب
٨٢	قميص النوم
٨٤	الغد

الصفحة

٨٩	رثاء شوقي
٩٣	هبة السماء
٩٦	هجاء أعمى بنفيس . زوج حسناء
٩٩	الانتظار
١٠٣	صلاة الحب
١٠٦	مصافحة اللقاء
١٠٧	مصافحة الوداع
١٠٩	أغنية في هيكل الحب
١١٠	دعاء الراعي
١١٢	التذكار
١١٩	البحيرة
١٢٣	وداع المريض
١٢٦	فرحة جديدة
١٢٨	استقبال القمر
١٣٠	نهرتي الجديدة
١٣٣	الفراشة
١٣٥	إلى س
١٣٨	نداء للشباب
١٤٠	في يوم الشباب
١٤٤	إلى روح الشاعر
١٤٨	ساعة التذكار
١٥٤	دين الأحياء
١٥٧	الأجنحة المحترقة
١٥٩	عتاب
١٦١	أصوات الوحدة
١٦٣	من شعر الصبا (الختام)
١٦٦	الدكتور زكي مبارك
١٧٢	على البحر
١٧٣	كلانا

